

30 مثلًا و 30 حكاية

أحمد سويلم
رسوم: سمير عزيز

الدار النموذجية للطباعة والنشر
صيدا - بيروت



شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/558
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961
بيروت - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا جزين
230195 07 - 230841 7 00961
تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2015 - 1436 هـ

E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.almaktaba-alassrya.com

المحتويات

مُقَدِّمَةٌ

عَزِيزِي الْقَارِئَ:

رُبَّمَا تَسْأَلُنِي لِمَنْ أُوَجِّهُ هَذَا الْكِتَابَ.. فَأُجِيبُكَ عَلَى الْفَوْرِ:

أُوَجِّهُهُ لِكُلِّ قَارِئٍ قَادِرٍ عَلَى الِاسْــتِيعَابِ وَالْفَهْمِ.. وَلِكُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْعُمْرِ يُمْكِنُهَا أَنْ تَدْخُلَ مِنْ بَابِ الْحِكْمَةِ.. فَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا وَمَعَهَا زَادٌ لَا يَنْفَدُ..

أَمَّا الْكِتَابُ نَفْسُهُ.. فَدَعْنِي أُحَدِّثْكَ عَنْهُ قَلِيلًا:

إِنَّهُمْ ثَلَاثُونَ مَثَلًا مِنَ الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ ـ حَاوَلْتُ أَنْ أَخْتَارَ أَشْهَرَهَا.. وَأَظْهَرَهَا.. وَأَقْرَبَهَا إِلَى الْعَصْرِ.. وَإِلَى ذَاكِرَةِ الْقَارِئِ..

وَأَمَّا مَا وَرَاءَ الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ مِنْ حِكَايَاتٍ.. فَقَدْ أَعْطَيْتُ لِنَفْسِي حُرِّيَّةَ التَّخَيُّلِ وَالْحَرَكَةِ.. وَالْكَرِّ وَالْفَرِّ خِلَالَ صَفَحَاتِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بِحَيْثُ تَتَلَاءَمُ كَثِيرًا مَعَ الْحِكْمَةِ أَوِ الْمَثَلِ.. فَقَدْ أَسُــوقُ لَكَ حِكَايَةَ الْمَثَلِ نَفْسِهِ، لَكِنْ بِصِيَاغَةٍ مُخْتَلِفَةٍ وَبِتَصَرُّفٍ كَبِيرٍ..

وَقَدْ أَسُوقُ لَكَ حِكَايَةً أُخْرَى أَجِدُهَا إِضَافَةً مُفِيدَةً.. وَتَفْسِيرًا جَيِّدًا لِهَذِهِ الْحِكْمَةِ.

وَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى تَفْسِــيرِ الْحِكْمَةِ مُنْذُ الْبِدَايَةِ، وَتَوْضِيحِ الْمَثَلِ الَّذِي تُضْرَبُ لِأَجْلِهِ.. كَمَا حَاوَلْتُ أَنْ أَسُــوقَ بَعْضَ الْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ الَّتِي تَتَشَابَهُ مَعَ الْحِكْمَةِ وَتَشْتَرِكُ مَعَهَا فِي الْمَعْنَى الْقَرِيبِ أَوِ الْبَعِيدِ.

وَبَعْــدُ...

أَلَسْــتَ مَعِي ـ عَزِيزِي الْقَارِئَ ـ فِى أَنَّنِي أُقَدِّمُ لَكَ عَمَــلًا مُفِيدًا.. أُرِيدُ بِهِ أَنْ أُسْعِدَكَ وَأُمْتِعَكَ وَأَرْبِطَكَ بِتُرَاثِكَ الْعَظِيمِ، وَبِقِيَمِهِ الْخَالِدَةِ؟

أَتَمَنَّى أَنْ تُقَدِّرَ لِي مَا بَذَلْتُ مِنْ جُهْدٍ لِأَجْلِكَ..

والله الموفق،،،

أحمد سويلم

إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ

يُقَالُ لِلْمُتَعَجِّلِ.. وَيَحُثُّ عَلَى الِانْتِظَارِ وَعَدَمِ التَّسَرُّعِ.

يُحْكَى أَنَّ الْمَلِكَ «النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ» ضَـــلَّ طَرِيقَهُ يَومًا بَعْدَ رِحْلَةِ صَيْدٍ، فَأَخَذَ «النُّعْمَانُ» يَنْظُرُ حَوْلَهُ فَلَا يَجِدُ غَيْرَ الصَّحْرَاءِ الْمُمْتَدَّةِ هُنَا وَهُنَاكَ، فَسَارَ هَائِمًا حَتَّى لَاحَ عَلَى الْبُعْدِ كُوخٌ صَغِيرٌ، فَأَسْـــرَعَ إِلَيْهِ، وَطَرَقَ بَابَهُ، وَكَانَ الكوخُ لِرَجُلٍ فَقِيرٍ مِنْ قَبِيلَةِ طَيِّئٍ يُقَالُ لَهُ «حَنْظَلَةُ» وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ.

قَالَ «النُّعْمَانُ» لِـــ «حَنْظَلَةَ»: هَلْ أَجِدُ عِنْدَكَ مَأْوى وَطَعَامًا لِغَرِيبٍ؟

قَالَ «حَنْظَلَةُ»: نَعَمْ يَا سَيِّدِي.

وَلَمْ يَكُنْ لَدَى «حَنْظَلَةَ» غَيْرُ شَـــاةٍ وَاحِدَةٍ يَشْـــرَبُ لَبَنَهَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ. فَقَالَ «حَنْظَلَةُ» لِزَوْجَتِهِ: لَقَدْ أَتَانَا رَجُلٌ أَظُنُّهُ شَرِيفًا، فَمَاذَا نَصْنَعُ لَهُ وَلَيْسَ لَدَيْنَا شَيْءٌ؟

قَالَتِ الزَّوْجَةُ: عِنْدِي شَـــيْءٌ مِنْ طَحِينٍ كُنْتُ قَدِ ادَّخَرْتُهُ، فَاذْبَحِ الشَّاةَ، وَأَنَا أَصْنَعُ مِنَ الطَّحِينِ خُبْزًا. فَقَامَ «حَنْظَلَةُ» إِلَى الشَّاةِ فَحَلَبَهَا، ثُمَّ ذَبَحَهَا.

وَأَكَلَ «النُّعْمَانُ» وَشَرِبَ حَتَى شَبِعَ، وَبَاتَ فِي كُوخِهِمَا لَيْلَتَهُ آمنًا. فَلَمَّا جَاءَ الصَّبَاحُ.. وَدَّعَهُمَا «النُّعْمَانُ»، ثُمَّ قَالَ: يَا أَخَا طَيِّئٍ.. إِنَّنِي الْمَلِكُ «النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ»، وَأُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ مَعِي.

وَفَاجَأَ الْأَمْرُ «حَنْظَلَةَ».. فَقَالَ: عُذْرًا يَا مَوْلَايَ، فَمَا كَانَ لَدَيْنَا مَا يَلِيقُ بِكَ.

قَالَ الْمَلِكُ «النُّعْمَانُ»: لَقَدْ فَعَلْتَ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي، فَاطْلُبْ حَاجَتَكَ.

قَالَ «حَنْظَلَةُ»: هَلْ لِي أَنْ أَطْلُبَهَا فِيمَا بَعْدُ؟

قَالَ الْمَلِكُ «النُّعْمَانُ»: لَكَ مَا تُرِيدُ، لَكِنْ دُلَّنِي كَيْفَ أَعُودُ إِلَى دِيَارِي.

فَدَلَّهُ «حَنْظَلَةُ»، وَعَادَ الْمَلِكُ إِلَى دِيَارِهِ.

وَأَصَابَ «حَنْظَلَةَ» وَزَوْجَتَهُ فَقْرٌ شَدِيدٌ، وَهُنَا ذَكَّرَتْهُ زَوْجَتُهُ بِوَعْدِ «النُّعْمَانِ»، فَقَالَتْ لَهُ: لَا مَخْرَجَ لَنَا مِمَّا نَحْنُ فِيهِ إِلَّا أَنْ تَذْهَبَ إِلَيهِ.



فَجَـــاءَ «حَنْظَلَةُ» «النُّعْمَانَ» فِي يَوْمٍ يَعْتَبِرُهُ المَلِكُ يَـــوْمَ بُؤْسٍ، يَقْتُلُ فِيهِ الْمَلِكُ مَنْ يَلْقَاهُ، وَلَمْ يَكُنْ «حَنْظَلَةُ» يَعْلَمُ هَذَا الأَمْرَ، فَلَمَّا رَآهُ المَلِكُ صَاحَ فِي وَجْهِهِ: أَلَمْ تَخْتَرْ يَوْمًا غَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ.. فَإِنَّهُ يَوْمُ بُؤْسِي؟ فَاسْأَلْنِي مَا شِئْتَ، فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ!!

فَاجَأَ الأَمْـــرُ «حَنْظَلَةَ»، لَكِنَّهُ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ قَتْلِي، فَأَجِّلْنِي حَتَّى أُوَدِّعَ أَهْلِي وَأُوصِيَ إِلَيْهِمْ، وَأُهَيِّئَ حَالَهُمْ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْكَ.

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا ضَمِنَكَ أَحَدٌ. وَهُنَا أَسْرَعَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: «قُرَادُ بْنُ أَجْدَعَ» وَقَالَ «لِلنُّعْمَانِ»: أَنَا أَضْمَنُهُ يَا مَوْلَايَ، وَأَمَرَ «النُّعْمَانُ» «لِلطَّائِيِّ» بِخَمْسِـــمِئَةِ نَاقَةٍ، وَأَجَّلَهُ عَامًا وَاحِدًا يَعُودُ فِي نِهَايَتِهِ لِيَلْقَى مَصِيرَهُ!!

وَقَبْلَ أَنْ يَنْتَهِيَ الْعَامُ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ اسْتَدْعَى الْمَلِكُ «قُرَادَ بْنَ أَجْدَعَ» ضَامِنَ «حَنْظَلَةَ»، وَقَالَ لَهُ: لَمْ يَأْتِ صَاحِبُكَ حَتَّى الْآنَ، وَمَا أَظُنُّكَ إِلَّا هَالِكًا غَدًا!!

فَقَالَ «قُرَادُ»: إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ يَا مَوْلَايَ..

وَفِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ، لَمْ يَأْتِ «حَنْظَلَةُ»، وَأَمَرَ «النُّعْمَانُ» بِقَتْلِ «قُرَادٍ» بَدَلًا مِنْهُ.

فَقَالَ لَهُ وُزَرَاؤُهُ: يَا مَوْلَانَا.. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ «قُرَادًا» حَتَّى يَنْتَهِيَ الْيَوْمُ كُلُّهُ.

فَتَرَكَهُ «النُّعْمَانُ» حَتَّى كَادَتِ الشَّـــمْسُ تَغِيبُ، وَبَيْنَمَا هُمْ يَسْتَعِدُّونَ لِقَتْلِ «قُرَادٍ»، إِذْا بِشَخْصٍ يَصِيحُ مِنْ بَعِيدٍ وَيُثِيرُ الرِّمَالَ!!

فَقَالَ الْوُزَرَاءُ: لَيْسَ لَكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَقْتُلَ «قُرَادًا» حَتَّى تَتَحَقَّقَ مِنَ الْقَادِمِ.

فَاقْتَرَبَ الشَّخْصُ القَادِمُ مِنَ الْمَلِكِ، فَوَجَدَهُ «حَنْظَلَةَ الطَّائِيَّ»!!

فَعَجِبَ «النُّعْمَانُ» وَقَالَ لَهُ: مَاذَا أَرْجَعَكَ بَعْدَ نَجَاتِكَ؟

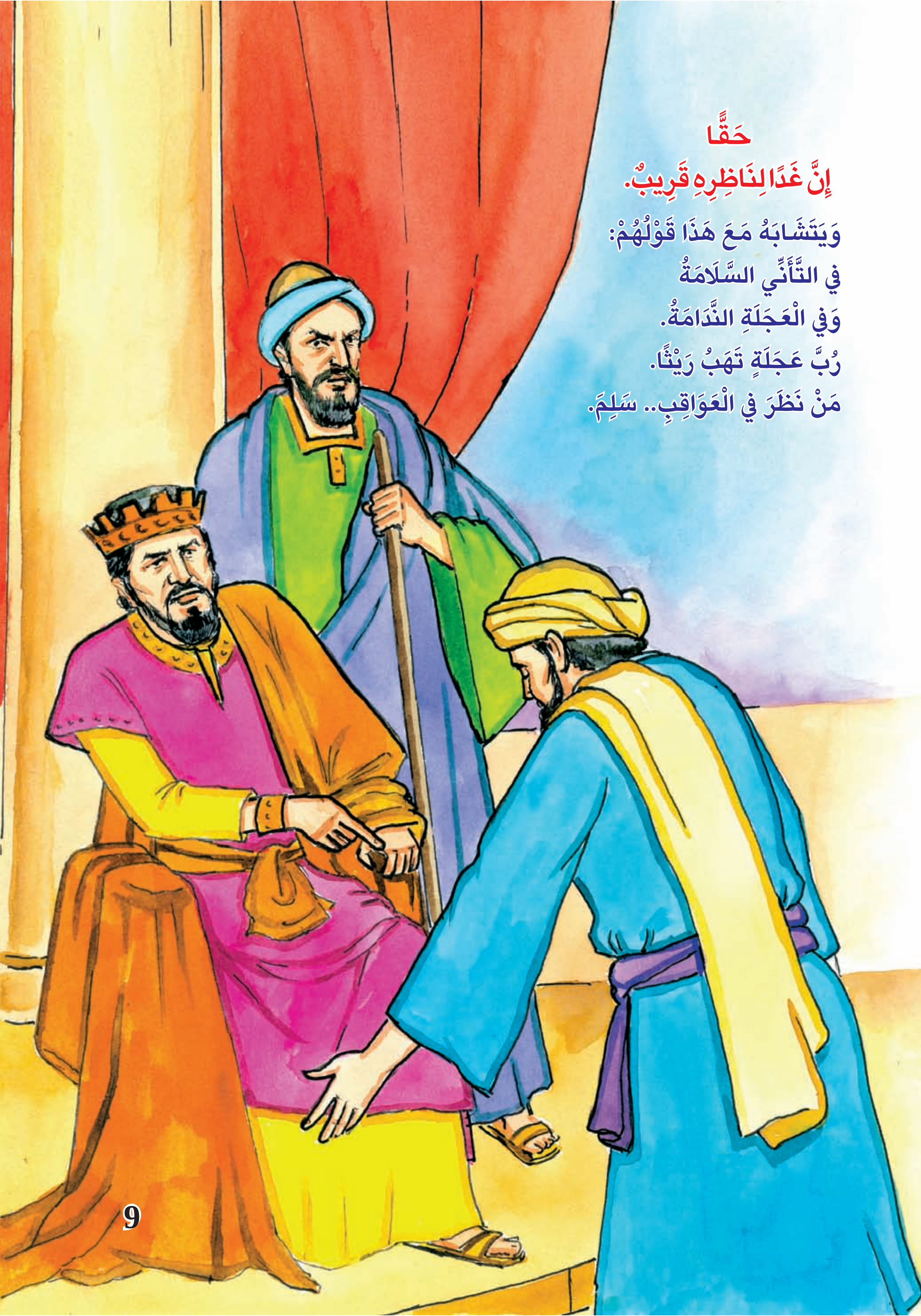
قَالَ «حَنْظَلَةُ»: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ يَا مَوْلَايَ.

قَالَ «النُّعْمَانُ»: وَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوَفَاءِ؟

قَالَ: دِينِي، وَرَبِّي.

فَعَظُمَ شَـــأْنُهُ عِنْدَ «النُّعْمَانِ»، فَأَبْطَلَ المَلِكُ هَذِهِ الْعَادَةَ السَّيِّئَةَ، وَعَفَا عَنْ «قُرَادٍ» وَ«حَنْظَلَةَ»، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَوْفَى وَأَكْرَمُ، أَهَذَا الَّذِي نَجَا مِنَ الْقَتْلِ فَعَادَ، أَمْ هَذَا الَّذِي ضَمِنَهُ؟! وَاللَّهِ لَا أَكُونُ أَقَلَّ مِنْهُمَا وَفَاءً.

وَهَكَذَا سَلِمَ «النُّعْمَانُ» حِينَمَا تَأَنَّى وَنَظَرَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ.



حَقًّا

إِنَّ غَدًا لِنَاظِرِهِ قَرِيبٌ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:
فِي التَّأَنِّي السَّلَامَةُ
وَفِي الْعَجَلَةِ النَّدَامَةُ.
رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا.
مَنْ نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ.. سَلِمَ.

الطُّيُورُ عَلَى أَشْكَالِهَا تَقَعُ

يُضْرَبُ لِنَاسٍ يَتَّخِذُونَ أَصْدِقَاءَهُمْ مِثْلَهُمْ.. أَخْيَارًا أَوْ أَشْرَارًا.

يُحْكَى أَنَّ لِصَّيْنِ تَصَادَقَا، وَبَدَآ يَسْرِقَانِ مَعًا، وَيَقْتَسِمَانِ مَا يَسْرِقَانِهِ، فَرَاقَبَا أَحَدَ الْأَغْنِيَاءِ وَسَرَقَا مِنْهُ كِيسًا فِيهِ مَالٌ كَثِيرٌ، لَكِنَّهُمَا خَافَا أَنْ تُمْسِكَ بِهِمَا الشُّرْطَةُ، فَجَلَسَا يُفَكِّرَانِ فِي الْأَمْرِ:

قَالَ الْأَوَّلُ: نَدْفِنُ الْمَالَ تَحْتَ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ خَارِجَ الْمَدِينَةِ.

وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ نَهْرُبُ بِهِ، وَلَا يَعْرِفُ أَحَدٌ عَنَّا شَيْئًا.

وَلَمْ يَسْتَحْسِنَا أَيًّا مِنَ الرَّأْيَيْنِ، وَأَخَذَا يُفَكِّرَانِ مَرَّةً أُخْرَى حَتَّى اهْتَدَيَا إِلَى حِفْظِ الْمَالِ لَدَى سَيِّدَةٍ عَجُوزٍ تَسْكُنُ كُوخًا صَغِيرًا فِي أَطْرَافِ الْمَدِينَةِ؛ إِذْ لَنْ يَشُكَّ رِجَالُ الشُّرْطَةِ فِي هَذِهِ السَّيِّدَةِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ لَا دَاعِيَ لِلِاخْتِفَاءِ، ثُمَّ حِينَمَا يُنْسَى مَوْضُوعُ السَّرِقَةِ يَذْهَبَانِ لِيَأْخُذَا الْمَالَ بِلَا صُعُوبَةٍ.

وَانْطَلَقَ اللِّصَّانِ إِلَى السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ وَعَرَضَا عَلَيْهَا الْأَمْرَ، قَالَتِ السَّيِّدَةُ: وَلِمَاذَا تُرِيدَانِ أَنْ تَحْفَظَا الْمَالَ عِنْدِي؟

قَالَ اللِّصُّ الْأَوَّلُ: إِنَّنَا مُسَافِرَانِ سَفَرًا بَعِيدًا، وَنَخْشَى أَنْ يَضِيعَ هَذَا الْمَالُ مِنَّا فِي سَفَرِنَا، وَنَحْنُ لَا نَثِقُ إِلَّا بِكِ.

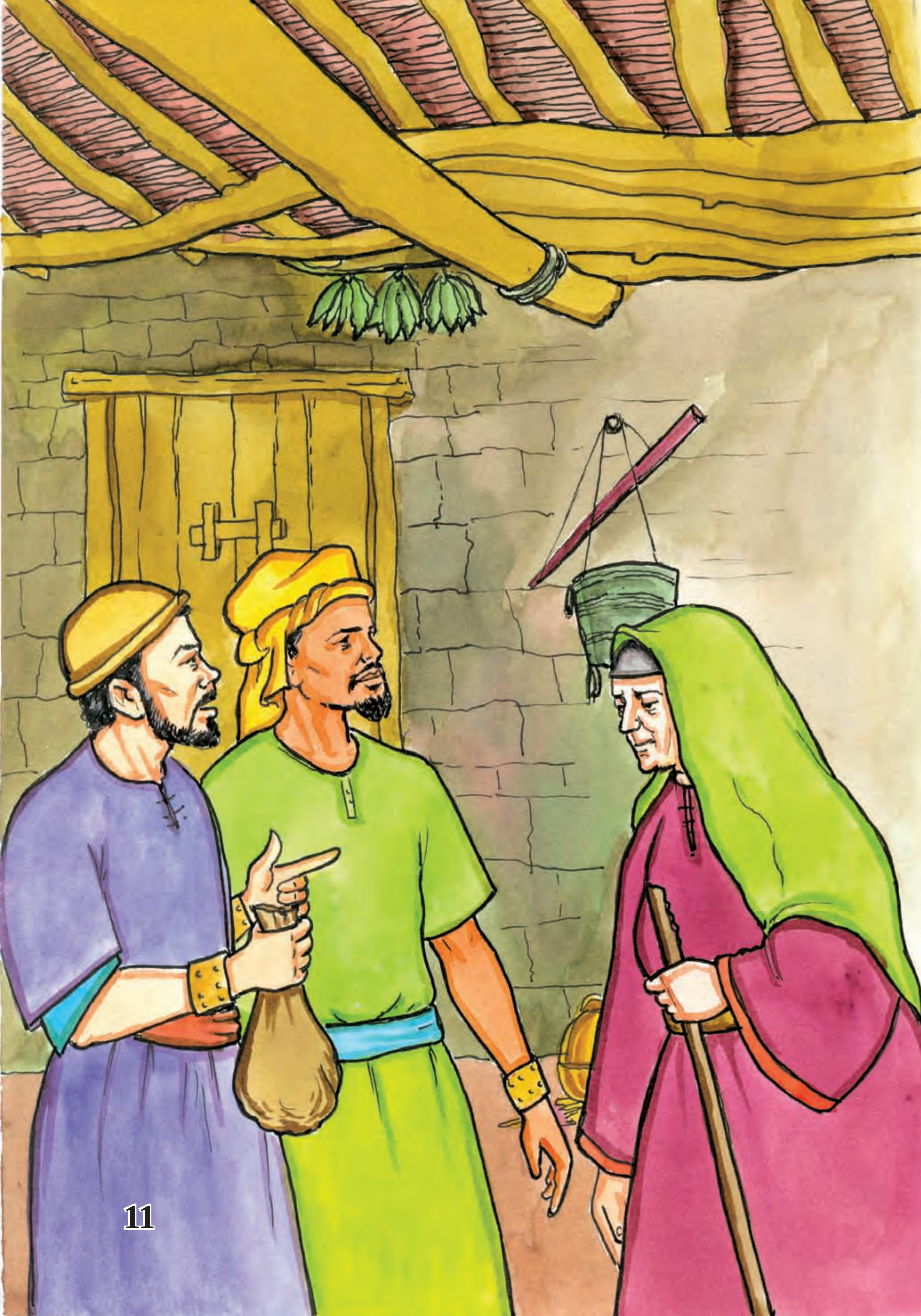
قَالَ اللِّصُّ الثَّانِي: لَكِنَّ لَنَا شَرْطًا وَاحِدًا يَا سَيِّدَتِي، إِنَّ هَذَا الْمَالَ مَالُنَا مَعًا، وَقَدْ أَتَيْنَاكِ مَعًا لِنُودِعَهُ لَدَيْكِ، فَإِذَا جَاءَ أَحَدُنَا يَطْلُبُهُ وَحْدَهُ فَلَا تُعْطِيهِ إِيَّاهُ إِلَّا إِذَا جَاءَ الْآخَرُ.

قَالَتِ الْمَرْأَةُ: تَقْصِدُ أَنَّكُمَا سَوْفَ تَجِيئَانِ مَعًا أَيْضًا لِأَخْذِ الْمَالِ.

قَالَ اللِّصَّانِ: تَمَامًا يَا سَيِّدَتِي.

وَتَرَكَ اللِّصَّانِ كِيسَ الْمَالِ عِنْدَ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ، وَانْطَلَقَا إِلَى حَالِ سَبِيلِهِمَا.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ مِنَ الزَّمَانِ، طَرَقَ اللِّصُّ الْأَوَّلُ وَحْدَهُ بَابَ الْعَجُوزِ فَفَتَحَتْ لَهُ، وَفُوجِئَتْ بِهِ يَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا، فَسَأَلَتْهُ السَّيِّدَةُ عَمَّا بِهِ، فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبِي قُتِلَ بَعْدَ أَنْ هَاجَمَنَا



اللُّصُوصُ فِي الطَّرِيقِ، وَتَمَكَّنْتُ أَنَا مِنَ الْهَرَبِ وَجِئْتُ لآخُذَ الْمَالَ.

وَتَرَدَّدَتِ السَّيِّدَةُ؛ فَقَدْ تَذَكَّرَتِ الشَّرْطَ.. أَلَّا تُعْطِيَ الْمَالَ لِأَحَدِهِمَا إِلَّا فِي حُضُورِ الْآخَرِ، لَكِنَّ اللِّصَّ لَاحَقَهَا قَائِلًا: إِنَّ صَاحِبِي قُتِلَ، وَبِهَذَا سَقَطَ الشَّرْطُ، وَسَوْفَ أُنْفِقُ هَذَا الْمَالَ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَأَطْلُبُ مِنْهُمُ الدُّعَاءَ لَهُ بِالرَّحْمَةِ.

وَاقْتَنَعَتِ الْعَجُوزُ بِمَا قَالَهُ اللِّصُّ. وَأَحْضَرَتِ الْمَرْأَةُ الْكِيسَ، وَأَخَذَهُ اللِّصُّ وَهُوَ يَفْتَعِلُ الْبُكَاءَ، وَأَخَذَ يُقَبِّلُ يَدَهَا وَيَطْلُبُ مِنْهَا أَنْ تَدْعُوَ لَهُ بِالنَّجَاةِ، وَلِصَاحِبِهِ الْمَقْتُولِ بِالرَّحْمَةِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ.. طَرَقَ اللِّصُّ الثَّانِي بَابَ الْعَجُوزِ، وَحِينَمَا فَتَحَتْ لَهُ فُوجِئَتْ بِهِ، فَوَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَاقِدَةً الْوَعْيَ، فَأَخَذَ اللِّصُّ يُسَاعِدُهَا حَتَّى أَفَاقَتْ، فَإِذَا بِهَا تَسْأَلُهُ: أَلَمْ تَمُتْ يَا وَلَدِي؟! أَلَمْ تُقْتَلْ، وَيَهْرُبْ صَدِيقُكَ مِنَ اللُّصُوصِ؟!

تَعَجَّبَ اللِّصُّ، وَقَالَ مُنْدَهِشًا: أَنَا لَمْ أُقْتَلْ، إِنَّكِ تَرَيْنَنِي أَمَامَكِ!

قَالَتِ السَّيِّدَةُ: لَقَدْ جَاءَنِي صَاحِبُكَ بَاكِيًا حَزِينًا عَلَيْكَ، وَأَقْنَعَنِي بِسُقُوطِ الشَّرْطِ، وَأَخَذَ الْمَالَ، وَقَالَ إِنَّهُ سَوْفَ يُنْفِقُهُ عَلَى الْمَسَاكِينِ وَالْفُقَرَاءِ لِيَتَرَحَّمُوا عَلَيْكَ.

وَأَخَذَ اللِّصُّ بِخِنَاقِ الْعَجُوزِ، وَأَخَذَ يَصِيحُ فِي وَجْهِهَا بِلَا رَحْمَةٍ، ثُمَّ هَدَّدَهَا بِأَنْ يَشْكُوَهَا لِلْقَاضِي.

وَبِالْفِعْلِ ذَهَبَ اللِّصُّ الثَّانِي لِقَاضِي الْمَدِينَةِ وَشَكَا الْعَجُوزَ، وَاتَّهَمَهَا بِأَنَّهَا بَدَّدَتِ الْمَالَ، وَأَخْلَفَتِ الْعَهْدَ الَّذِي اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ مَعَ الصَّدِيقَيْنِ.

وَاسْتَدْعَى الْقَاضِي الْمَرْأَةَ الْمِسْكِينَةَ.. فَحَكَتْ لَهُ مَا حَدَثَ، وَصَرَخَ اللِّصُّ:

لَكِنَّنِي مُتَمَسِّكٌ بِحَقِّي يَا سَيِّدِي.

وَهُنَا فَطِنَ الْقَاضِي أَنَّ بِالْأَمْرِ سِرًّا.. فَقَالَ لِلِّصِّ:

مَعَكَ حَقٌّ يَا أَخِي، وَأَيْضًا هَذِهِ السَّيِّدَةُ لَهَا عُذْرُهَا، لَقَدِ اشْتَرَطْتُمَا عَلَيْهَا أَنْ تُعْطِيَ الْمَالَ لَكُمَا إِذَا جِئْتُمَا مَعًا، وَقُتِلَ أَحَدُكُمَا، فَسَقَطَ الشَّرْطُ.

قَالَ اللِّصُّ: لَكِنَّنِي حَيٌّ أُرْزَقُ كَمَا تَرَى يَا سَيِّدِي!

قَالَ الْقَاضِي: إِذَنْ نَتَمَسَّكُ بِالشَّرْطِ.

قَالَ اللِّصُّ: كَيْفَ يَا سَيِّدِي؟!

قَالَ الْقَاضِي: اذْهَبْ وَأَحْضِرْ صَاحِبَكَ، وَنَحْنُ نَأْتِي لَكَ بِالْمَالِ. أَلَيْسَ هَذَا نَصَّ الِاتِّفَاقِ؟! إِذَا حَضَرْتُمَا مَعًا، فَسَوْفَ تُعْطِي الْمَرْأَةُ لَكُمَا الْمَالَ.

وَهُنَا صَاحَ اللِّصُّ فِي غَيْظٍ: لَكِنَّ صَاحِبِي هَذَا لِصٌّ مُحْتَالٌ!!

وَفُوجِئَ الْقَاضِي بِهَذَا الْوَصْفِ، فَقَالَ لَهُ لَائِمًا: أَلَيْسَ هَذَا الرَّجُلُ صَاحِبَكَ، فَكَيْفَ إِذَنْ تَصِفُهُ بِهَذَا؟!

قَالَ اللِّصُّ: إِنَّهَا حِكَايَةٌ طَوِيلَةٌ يَا سَيِّدِي الْقَاضِي، إِنَّنَا صَاحِبَانِ عَاطِلَانِ لَيْسَ لَنَا عَمَلٌ غَيْرُ السَّرِقَةِ، وَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ ذَهَبْنَا مَعًا وَسَرَقْنَا مَالَ أَحَدِ الْأَغْنِيَاءِ، وَفَكَّرْنَا طَوِيلًا أَنْ نَهْرُبَ بِهِ أَوْ نَدْفِنَهُ فِي مَكَانٍ خَفِيٍّ، لَكِنَّنَا خِفْنَا الشُّرْطَةَ، حَتَّى اهْتَدَيْنَا إِلَى حِفْظِهِ عِنْدَ هَذِهِ السَّيِّدَةِ.

وَهُنَا صَاحَتِ السَّيِّدَةُ: الْمَالُ مَسْرُوقٌ! يَا وَيْلِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَأَوْقَعَ الْقَاضِي عَلَى اللِّصِّ عِقَابًا، وَأَمَرَ الشُّرْطَةَ أَنْ تُحْضِرَ زَمِيلَهُ لِيَنَالَ عِقَابَهُ.

وَأَعَادَ الْقَاضِي الْمَالَ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ قَالَ:



وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْمَرْءُ مِرْآةُ أَخِيهِ.

الْمَرْءُ بِخَلِيلِهِ.

قُلْ لِي مَنْ صَدِيقُكَ أَقُلْ لَكَ مَنْ أَنْتَ.

مَنْ صَدَقَ اللَّهَ نَجَا

يُضْرَبُ فِي الْحَثِّ عَلَى الصِّدْقِ.. وَإِخْلَاصِ الْعَمَلِ لِلَّهِ.

يُحْكَـــى أَنَّ ثَلَاثَةً مِنَ الْعَرَبِ، خَرَجُوا يَوْمًا إِلَى الصَّحْـــرَاءِ يَطْلُبُونَ الرِّزْقَ، وَقَضَوا نِصْفَ يَوْمِهِمْ فِي السَّعْيِ هُنَا وَهُنَاكَ.

وَفَجْأَةً غَامَتِ السَّمَاءُ، وَسَـــقَطَ الْمَطَرُ غَزِيرًا، فَانْطَلَقُوا يَبْحَثُونَ عَنْ مَأْوًى، حَتَّى وَجَدُوا كَهْفًا فِي جَبَلٍ، فَلَجَأُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الْمَطَرُ.

وَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ دَاخِلَ الْكَهْفِ؛ إِذْ تَدَحْرَجَتْ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ وَاسْـــتَقَرَّتْ أَمَامَ بَابِ الْكَهْفِ وَسَدَّتْهُ تَمَامًا، وَحَجَبَتْ ضَوْءَ النَّهَارِ.

فَأَسْرَعَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الصَّخْرَةِ يُحَاوِلُونَ دَفْعَهَا عَنِ الْبَابِ، لَكِنَّ الصَّخْرَةَ كَانَتْ كَبِيرَةً وَثَقِيلَةً، فَلَمْ تَتَزَحْزَحْ عَنْ مَكَانِهَا.

وَجَلَسَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ يُفَكِّرُونَ فِي الْأَمْرِ.. وَتَسَرَّبَ الْيَأْسُ إِلَى قُلُوبِهِمْ..

قَالَ أَحَـدُهُمْ: دَعُـونَا نَصْرُخْ بِصَـوتٍ عَـالٍ حَتَّى يَسْمَعَنَا أَحَدُ الْمَارَّةِ فَيُنْقِذَنَا مِنْ هَذَا الْمَصِيرِ.

لَكِنْ.. مَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَمُـــرَّ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، وَمَنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَهُمْ، أَوْ يَسْمَعَ صَوْتَهُمْ وَقَدْ سَدَّتِ الصَّخْرَةُ تَمَامًا بَابَ الْكَهْفِ؟!

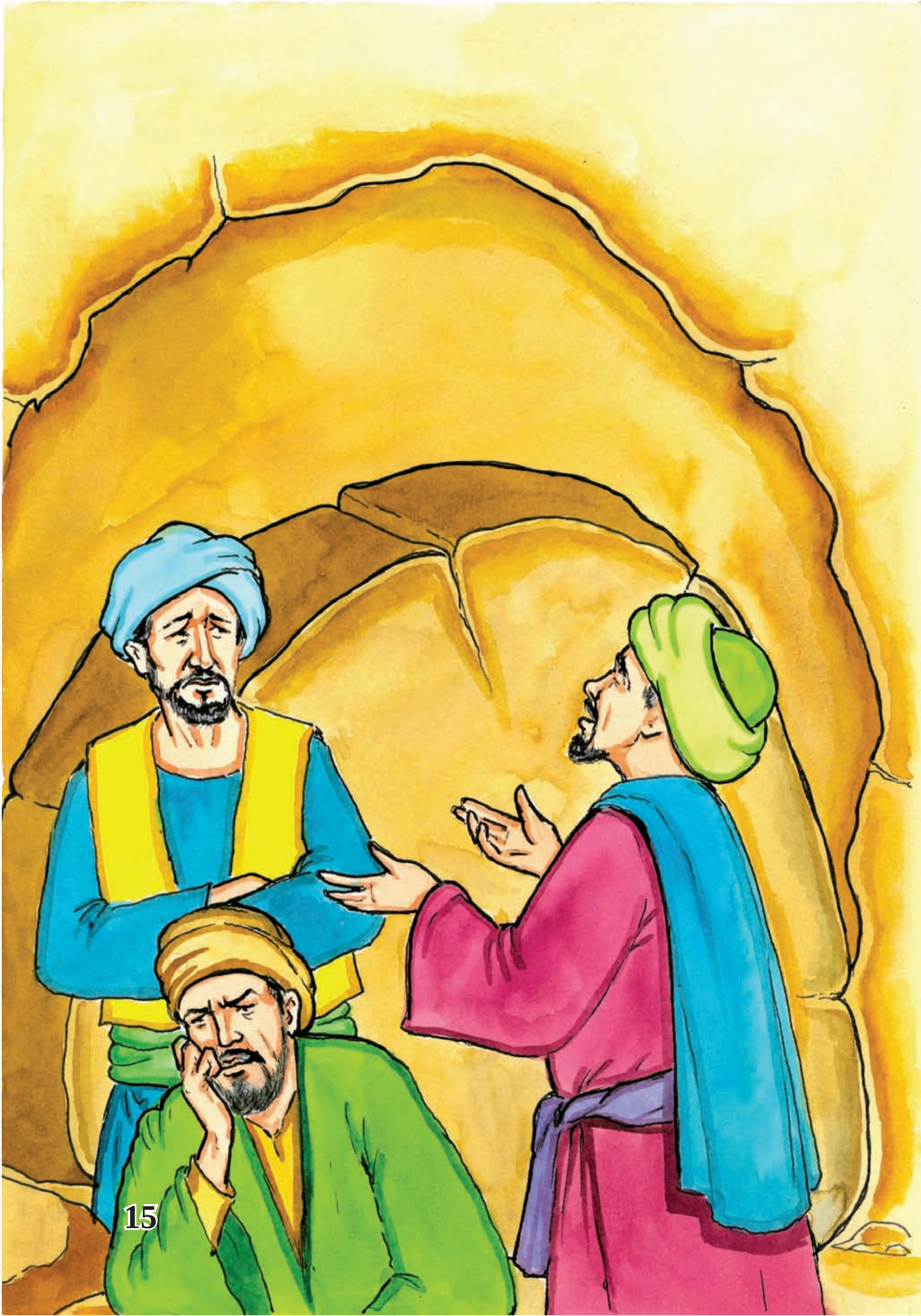
قَالَ الثَّانِي: عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَسْلِمَ لِمَصِيرِنَا وَلِقَضَاءِ اللَّهِ؛ فَمُحَاوَلَاتُنَا لَا جَدْوَى مِنْهَا.

وَسَادَتْ فَتْرَةٌ قَصِيرَةٌ مِنَ الصَّمْتِ.

ثُـــمَّ قَالَ الثَّالِثُ: أَرَى أَنَّهُ لَيْسَ أَمَامَنَا إِلَّا أَنْ نَلْجَأَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ عَسَـــى أَنْ يَرْحَمَنَا وَيُنْجِيَنَا مِنْ هَذَا الْكَرْبِ.

قَالَ الثَّانِي: وَمَاذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْعَلَ يَا أَخِي، وَاللَّهُ يَرَانَا وَيَعْرِفُ حَالَنَا؟!

قَالَ الثَّالِـــثُ: أَرَى أَنْ يَذْكُرَ كُلٌّ مِنَّا أَفْضَلَ عَمَلٍ عَمِلَهُ فِي حَيَاتِهِ كَانَ فِيهِ صَادِقًا مَعَ اللَّهِ وَمَعَ نَفْسِهِ.



وَأَعْجَبَتْهُمُ الْفِكْرَةُ، فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَمْنَعُ مِنَ الْمُحَاوَلَةِ.

هَمَسَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ مَعًا: تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ، الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْمُفَرِّجِ لِكُلِّ كَرْبٍ.

وَبَــدَأَ أَوَّلُهُمْ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنِي كُنْتُ بَارًّا بِأَبِي وَأُمِّي، لَا أَعْصِي لَهُمَا أَمْرًا، وَكُنْتُ أَجِيءُ إِلَيْهِمَا بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَهُمَا مَرِيضَانِ فِي فِرَاشِهِمَا.

وَأَذْكُرُ أَنَّنِي دَخَلْتُ عَلَيْهِمَا فِي إِحْدَى اللَّيَالِي، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا، وَفَضَّلْتُ أَلَّا أَذْهَبَ عَنْهُمَا، فَوَقَفْتُ أَحْمِلُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَوْقَ يَدَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَاسْــتَيْقَظَا. فَيَا رَبِّ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ ذَلِــكَ لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ، فَفَرِّجْ عَنَّا كُرْبَتَنَا.

وَهُنَا.. مَالَتِ الصَّخْرَةُ قَلِيلًا عَنْ مَكَانِهَا حَتَّى دَخَلَ شُعَاعٌ مِنَ النُّورِ فَأَضَاءَ الْكَهْفَ، فَأَخَذُوا يَصِيحُــونَ وَيَتَعَانَقُونَ، وَانْطَلَقُوا إِلَى الصَّخْرَةِ يُحَاوِلُــونَ دَفْعَهَا، لَكِنَّهَا لَمْ تَتَزَحْزَحْ كَثِيرًا عَنْ مَكَانِهَا.

فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: لَقَدْ حَكَيْتُ حِكَايَتِي وَتَزَحْزَحَتِ الصَّخْرَةُ، فَلْيَبْدَأْ أَحَدُكُمَا لِيَحْكِيَ هُوَ الْآخَرُ.. فَقَدْ تَتَزَحْزَحُ الصَّخْرَةُ أَكْثَرَ..

وَهُنَا قَالَ الثَّانِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّنِي أَحْبَبْتُ امْرَأَةً حُبًّا شَدِيدًا، وَدَفَعَنِي الشَّيْطَانُ أَنْ أُغْضِبَكَ مَعَهَــا، لَوْلَا أَنَّهَا وَاجَهَتْنِي وَقَالَتْ: إِنَّكَ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تَفْعَلَ شَــيْئًا إِلَّا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ، فَاسْتَعَذْتُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَتَرَكْتُهَا وَشَأْنَهَا. فَيَا رَبِّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنِي مَا فَعَلْتُ هَذَا إِلَّا مَخَافَتَكَ، فَفَرِّجْ كُرْبَتَنَا.

فَانْفَرَجَــتِ الصَّخْرَةُ قَلِيلًا، فَهَلَّــلَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ وَحَاوَلُوا الْخُــرُوجَ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا.

وَكَانَ عَلَى الرَّجُلِ الثَّالِثِ أَنْ يَحْكِيَ هُوَ الْآخَرُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَشْهَدُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يَعْمَلُونَ عِنْدِي، وَبَعْدَ أَنِ انْتَهَوْا مِنْ عَمَلِهِمْ أَعْطَيْتُهُمْ أُجُورَهُمْ كَامِلَةً.

وَلَكِنَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ لَمْ يُعْجِبْهُ أَجْرُهُ وَصَــاحَ فِي وَجْهِي، وَتَرَكَ لِي حَقَّهُ وَذَهَبَ عَنِّي غَاضِبًا.

وَلَكِنَّنِي اسْتَثْمَرْتُ أَجْرَ هَذَا الرَّجُلِ حَــتَّى زَادَ عِنْدِي وَرَبِحَ؛ ثُــمَّ جَـاءَنِي الرَّجُـلُ يُطَالِبُنِي بِأَجْرِهِ. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ هَذَا الْمَالِ لَكَ.

فَيَا رَبِّ إِنْ كُنْتُ قَدْ فَعَلْتُ ذَلِكَ لِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ.. فَفَرِّجْ عَنَّا كُرْبَتَنَا.

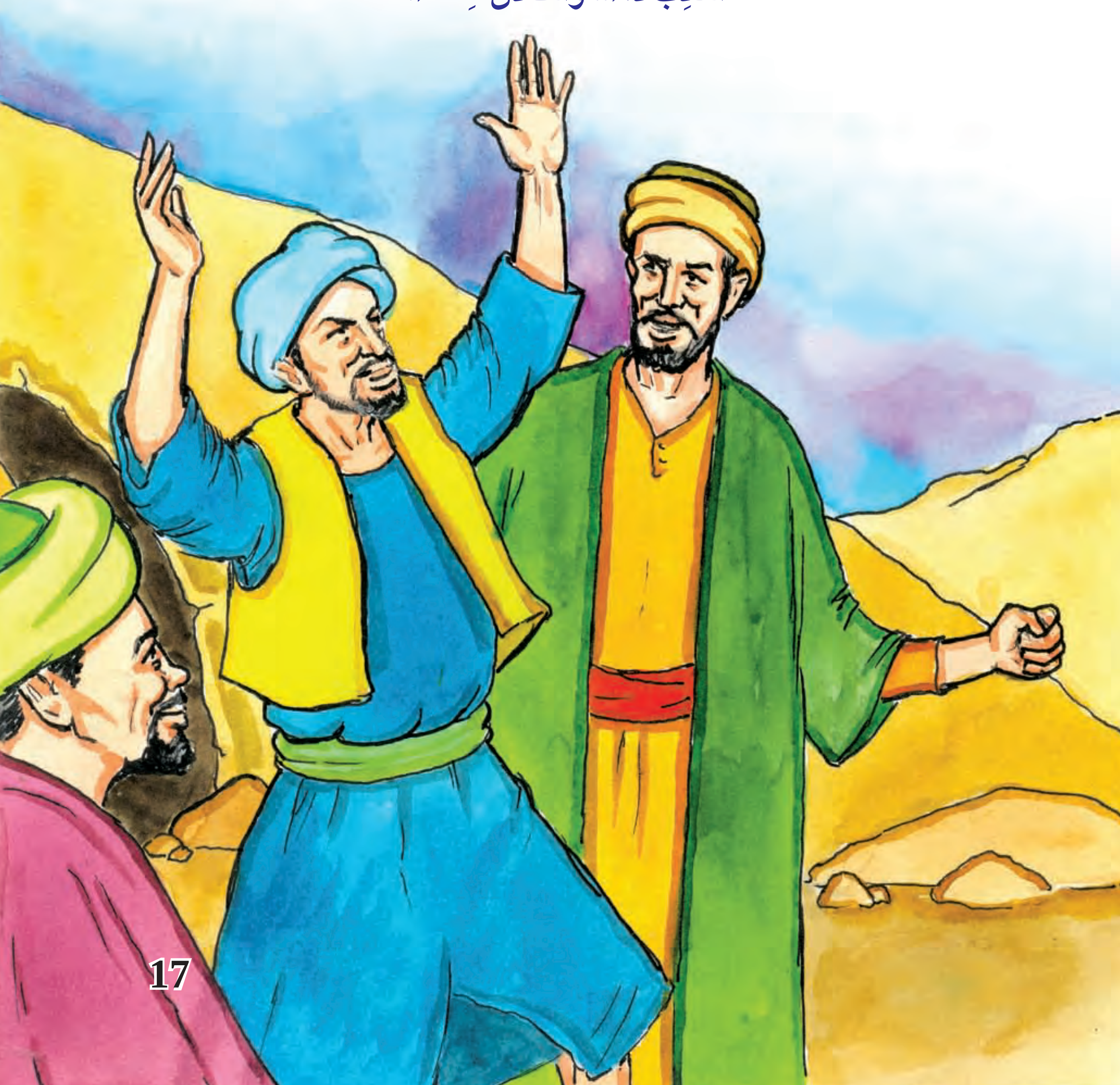
وَهُنَا مَالَتِ الصَّخْرَةُ وَابْتَعَدَتْ، وَانْطَلَقَ الثَّلَاثَةُ سَـــالِمِينَ؛ لِأَنَّهُمْ لَقُوا اللَّهَ بِالصِّدْقِ فَأَنْجَاهُمْ مِنْ مِحْنَتِهِمْ.

فَمَنْ صَدَقَ اللَّهَ نَجَا!!

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ: رَبُّكَ وَصَاحِبُكَ لَا تَكْذِبْ عَلَيْهِمَا.

الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ.. وَالْكَذِبُ مَهْوَاةٌ.

الْكَذِبُ دَاءٌ.. وَالصِّدْقُ شِفَاءٌ.



كُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَغَيَّرَ.. لَكِنَّهُ دَائِمًا يَعُودُ إِلَى أَصْلِهِ وَيَنْزِعُ إِلَى عُنْصُرِهِ.. إِنْ خَيْرًا أَوْ شَرًّا.

كَانَ يَامَا كَانَ، فِي سَـــالِفِ الزَّمَانِ، حَاكِمٌ عَادِلٌ صَالِحٌ يُحِبُّ رَعِيَّتَهُ، وَتُحِبُّهُ الرَّعِيَّةُ، وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى إِنْصَافِ الْمَظْلُومِ، وَتَحْقِيقِ الْأَمْنِ لِكُلِّ النَّاسِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْـــهِ أَحَدُ أَعْوَانِهِ، وَأَخْبَرَهُ بِوُجُودِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ اللُّصُوصِ وَقُطَّاعِ الطَّرِيقِ، يُؤْذُونَ وَيَسْـــرِقُونَ كُلَّ مَنْ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ أَوْ يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمَقَرُّ إِقَامَتِهِمْ فِي خَارِجِ الْمَدِينَةِ فِي مَكَانٍ مَهْجُورٍ.

وَدَعَا الْحَاكِمُ مَجْلِسَ الْحُكْمِ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ.

قَالَ أَحَدُ الْأَعْوَانِ: نَرَى يَا سَيِّدِي أَنْ نُرْسِلَ جَيْشًا كَبِيرًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ.

وَقَالَ آخَرُ: بَلْ أَرَى أَنْ تَكُونَ خُطَّتُنَا سِـــرِّيَّةً؛ بِأَنْ نُرْسِلَ رَجُلًا مِنَّا يَتَجَسَّسُ عَلَيْهِمْ لِيَعْرِفَ تَحَرُّكَاتِهِمْ، ثُمَّ نُخَطِّطَ لِمُهَاجَمَتِهِمْ فِي وَقْتٍ لَا يَتَوَقَّعُونَهُ.

وَوَافَقَ الْجَمِيعُ عَلَى الرَّأْيِ الْأَخِيرِ.

وَسَأَلَ الْحَاكِمُ: مَنْ يَا تُرَى يَصْلُحُ لِكَيْ يَقُومَ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ؟

قَالَ صَاحِبُ الرَّأْيِ الْأَخِيرِ: أَقُومُ بِهَا أَنَا يَا سَيِّدِي.

وَمَضَى الرَّجُلُ يَتَجَسَّسُ عَلَى هَؤُلَاءِ اللُّصُوصِ، حَتَّى عَرَفَ عَنْهُمْ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ أَحْكَمَ الْخُطَّةَ تَمَامًا. وَفَاجَأَ الْجُنُودُ هَؤُلَاءِ الْأَشْـــرَارَ وَقَبَضُوا عَلَيْهِمْ جَمِيعًا دُونَ أَنْ تُرَاقَ أَيُّ دِمَاءٍ، وَوَقَفُوا أَمَامَ حَاكِمِ الْمَدِينَةِ.

وَسَـــأَلَهُمْ حَاكِمُ الْمَدِينَةِ الصَّالِحُ: مَا الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الْمَجِـــيءِ إِلَى مَدِينَتِي وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاسَ هُنَا آمِنُونَ؟!

رَدَّ زَعِيمُ الْأَشْرَارِ: إِنَّهُ الشَّرُّ يَا سَيِّدِي.. كَمَا تَعْلَمُ.

قَالَ الْحَاكِمُ: إِذَنْ أَنْتُمْ تَعْتَرِفُونَ بِأَخْطَائِكُمْ.

قَالَ الزَّعِيمُ: نَعْتَرِفُ يَا سَيِّدِي.. إِنَّهُ طَبْعٌ فِينَا وَرِثْنَاهُ عَنْ آبَائِنَا!

وَقَضَى الْحَاكِمُ عَلَيْهِمْ بِالسَّجْنِ.

ثُمَّ قَالَ الْوَزِيرُ لِلْحَاكِمِ: اسْمَحْ لِي يَا سَيِّدِي، لَقَدْ وَجَدْنَا بَيْنَ هَؤُلَاءِ اللُّصُوصِ شَابًّا صَغِيرَ السِّنِّ، وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهُمْ غَرَّرُوا بِهِ، وَأَرْغَمُوهُ أَنْ يَكُونَ لِصًّا مِثْلَهُمْ، وَأَرَى أَنْ تَتَكَرَّمَ يَا سَيِّدِي بِالْعَفْوِ عَنْهُ، وَأَنْ يَعِيشَ مَعَنَا تَحْتَ رِعَايَتِنَا؛ فَنَحْنُ يُمْكِنُنَا أَنْ نُبَدِّلَ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَنَجْعَلَهُ يَعِيشُ حَيَاةً كَرِيمَةً يَنْسَى فِيهَا مَا فَعَلَهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارُ.

فَسَأَلَ الْحَاكِمُ الْوَزِيرَ: وَمَنْ يَضْمَنُ أَنَّهُ سَوْفَ يَسْتَجِيبُ لِلتَّغْيِيرِ أَيُّهَا الْوَزِيرُ؟

قَالَ الْوَزِيرُ: دَعْ هَذَا الْأَمْرَ لِي يَا سَيِّدِي، فَأَنَا أَرَى أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ مَعَهُمُ السِّجْنَ فَسَوْفَ يَزْدَادُ شَرًّا.

وَاقْتَنَعَ الْجَمِيعُ بِرَأْيِ الْوَزِيرِ، وَعَفَا الْحَاكِمُ عَنْ هَذَا الشَّابِّ، وَتَوَلَّاهُ الْوَزِيرُ فَأَتَى إِلَيْهِ بِرَجُلٍ عَالِمٍ صَالِحٍ، يُعَلِّمُهُ أُمُورَ الْحَيَاةِ، وَيُشْرِفُ عَلَى تَرْبِيَتِهِ، وَيَسْتَأْصِلُ مِنْهُ جُذُورَ الشَّرِّ.



وَبِالْفِعْلِ تَغَيَّرَ الشَّابُّ، وَتَعَلَّمَ الْفُرُوسِيَّةَ وَالرِّمَايَةَ، وَأَخَذَ يَشْتَرِكُ فِي أَحَادِيثِ الْكِبَارِ، وَشَعَرَ الْجَمِيعُ بِأَنَّ التَّجْرِبَةَ تُوشِكُ أَنْ تَنْجَحَ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ طَرَقَ بَابَ الشَّابِّ طَارِقٌ، وَفَتَحَ لَهُ الْخَادِمُ، فَسَأَلَ الطَّارِقُ عَنِ الشَّابِّ، وَلَقَّنَ الْخَادِمَ رِسَالَةً شَفَهِيَّةً يَقُولُهَا لِلشَّابِّ.

جَاءَ الْخَادِمُ إِلَى الشَّابِّ وَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي هُنَاكَ فَتًى بِالْبَابِ يَقُولُ لَكَ: الْبِئْرُ الْخَالِيَةُ تُهْدِي إِلَيْكَ السَّلَامَ.

ذُعِرَ الشَّابُّ مِنْ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَقَدْ كَانَ هَذَا الْفَتَى صَدِيقَهُ فِي أَيَّامِ الشَّرِّ، سَرَقَا مَعًا، وَهَرَبَا مَعًا.

وَانْتَظَرَ الْخَادِمُ جَوَابَ الشَّابِّ، حَتَّى أَذِنَ لِلْفَتَى بِالدُّخُولِ.

وَيَدْخُلُ الْفَتَى فَيُعَانِقُ الشَّابَّ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: يَبْدُو أَنَّكَ سَعِيدٌ بِحَيَاتِكَ هُنَا يَا صَدِيقِي.

قَالَ الشَّابُّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ.

قَالَ الْفَتَى: قُلْ لِي إِذَنْ، كَمْ سَرَقْتَ مِنْ سَيِّدِكَ حَتَّى الْآنَ؟!

أَشَارَ الشَّابُّ لِلْفَتَى بِالصَّمْتِ، وَقَالَ: اسْكُتْ يَا صَدِيقِي حَتَّى لَا يَسْمَعَكَ أَحَدٌ، لَقَدْ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَصْبَحْتُ أَكْرَهُ الشَّرَّ وَالسَّرِقَةَ.

ضَحِكَ الْفَتَى بِصَوْتٍ عَالٍ سَاخِرًا، وَقَالَ: أَتُرِيدُ أَنْ أُصَدِّقَ هَذَا؟! إِنَّ الْبِئْرَ الْخَالِيَةَ تَسْأَلُ عَنْكَ، وَالْكَهْفُ الْجَنُوبِيُّ حَزِينٌ عَلَى فِرَاقِكَ، وَالْأَصْدِقَاءُ يَسْأَلُونَ عَنْكَ.

وَلَمْ يَتْرُكِ الْفَتَى لِلشَّابِّ فُرْصَةَ الْحِوَارِ، بَلْ قَالَ لَهُ: لَقَدْ أَسْرَعْتُ إِلَيْكَ بِخُطَّةٍ جَدِيدَةٍ اللَّيْلَةَ، فَلَا تَخْذُلْنِي، لَقَدْ دَبَّرْتُ كُلَّ شَيْءٍ، أَمَّا دَوْرُكَ فَهُوَ صَغِيرٌ جِدًّا..

فَصَاحَ الشَّابُّ فِي وَجْهِ الْفَتَى: لَنْ أُقْدِمَ عَلَى هَذَا أَبَدًا!

وَهُنَا أَخْرَجَ الْفَتَى سِكِّينًا وَهَدَّدَهُ بِهَا إِذَا لَمْ يَقْبَلْ، بَلْ هَدَّدَهُ بِأَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْحَاكِمِ وَيَكْذِبَ عَلَيْهِ وَيَقُولَ لَهُ أُمُورًا تُهَدِّدُ حَيَاةَ الشَّابِّ.

وَأَخَذَ الْفَتَى يُذَكِّرُهُ بِالْأَيَّامِ الَّتِي قَضَيَاهَا مَعًا، وَالْأَحْدَاثِ الَّتِي جَرَتْ، حَتَّى بَدَأَ الشَّابُّ يَتَذَكَّرُ مَعَهُ، وَيَحِنُّ إِلَى مُوَاصَلَةِ الْعَمَلِ.

كَانَتِ الْخُطَّةُ هِيَ قَتْلَ الْوَزِيرِ وَوَلَدَيْهِ وَالِاسْتِيلَاءَ عَلَى مَالِهِ، وَالْخُرُوجَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَأْوِي اللُّصُوصَ خَارِجَ الْبَلْدَةِ.

وَنُفِّذَتِ الْخُطَّةُ، وَاكْتَشَفَهَا النَّاسُ فِي الصَّبَاحِ.

وَاجْتَمَعَ مَجْلِسُ الْحُكْمِ مَرَّةً أُخْرَى، وَتَنَاقَشَ الْأَعْوَانُ فِيمَا حَدَثَ.

قَالَ أَحَدُهُمْ: لَقَدْ كُنْتُ ضِدَّ هَذَا يَا سَيِّدِي؛ إِذْ كَيْفَ يَنْصَلِحُ ذَيْلُ الْكَلْبِ!! وَالتَّرْبِيَةُ مَهْمَا كَانَتْ حَمِيدَةً لَا تَصْلُحُ مَعَ الْوَضِيعِ، وَالسَّيْفُ الْبَتَّارُ لَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَدِيدِ الرَّدِيءِ.

وَهَزَّ الْحَاكِمُ رَأْسَهُ حُزْنًا وَقَالَ:

فِعْلًا.. كُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْكَلْبُ كَلْبٌ وَإِنْ طَوَّقْتَهُ ذَهَبًا.

مَنْ يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصُدْ شَرًّا.

مِنَ الْحَبَّةِ تَنْمُو الشَّجَرَةُ.



رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ

يُقَالُ لِمَنْ يَفْشَلُ فِي مَسْعَاهُ وَيَعُودُ بِالْخَيْبَةِ وَالْإِخْفَاقِ.

ارْتَبَطَتْ هَذِهِ الْحِكْمَةُ بِاسْمِ رَجُلٍ كَانَ يَعْمَلُ إِسْكَافِيًّا يُسَمَّى «حُنَيْنًا»، وَكَانَ يَجْلِسُ بِأَدَوَاتِهِ فِي الطَّرِيقِ الْعَامِّ.

عُرِفَ «حُنَيْنٌ» الْإِسْكَافِيُّ بِجَوْدَةِ الصِّنَاعَةِ، وَطِيبِ الْخُلُقِ، وَخِدْمَةِ النَّاسِ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ مَرَّ عَلَى «حُنَيْنٍ» أَعْرَابِيٌّ عَلَى سَفَرٍ، وَكَانَ قَدْ سَمِعَ بِـ «حُنَيْنٍ» وَبِصِنَاعَتِهِ الْجَيِّدَةِ.

وَتَحَدَّثَ الْأَعْرَابِيُّ مَعَ «حُنَيْنٍ» قَائِلًا: أُرِيدُ يَا «حُنَيْنُ» أَنْ أَشْتَرِيَ مِنْكَ خُفَّيْنِ جَدِيدَيْنِ، مِثْلَ خُفَّيْكَ اللَّذَيْنِ تَلْبَسُهُمَا فِي قَدَمَيْكَ.

ضَحِكَ «حُنَيْنٌ»، وَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي لَيْسَ لَدَيَّ مِثْلَ خُفَّيَّ.. لَكِنَّ عِنْدِي خُفَّيْنِ آخَرَيْنِ لَا يَقِلَّانِ جَوْدَةً عَنْ خُفَّيَّ.

قَالَ الرَّجُلُ: أَرِنِي إِيَّاهُمَا.

وَمَدَّ «حُنَيْنٌ» يَدَهُ فِي مِخْلَاةٍ كَانَتْ بِجَانِبِهِ، وَأَخْرَجَ لِلرَّجُلِ خُفَّيْنِ، وَأَمْسَكَ الرَّجُلُ بِالْخُفَّيْنِ، وَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا مَرَّةً، وَيَنْظُرُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مَا يَلْبَسُهُ «حُنَيْنٌ»،



ثُمَّ قَالَ لِـ «حُنَيْنٍ»: إِنَّ هَذَيْنِ الْخُفَّيْنِ لَيْسَا مِثْلَ مَا تَلْبَسُهُ تَمَامًا، لَكِنْ يُمْكِنُنِي أَنْ آخُذَهُمَا.. بِكَمْ تَبِيعُهُمَا يَا «حُنَيْنُ»؟

قَالَ «حُنَيْنٌ»: مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ أَبِيعُهُمَا بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ.

وَهُنَا صَاحَ الْأَعْرَابِيُّ: هَذَا كَثِيرٌ يَا رَجُلُ.. إِنَّكَ تَرْفَعُ أَسْعَارَكَ وَلَا تَرْحَمُ النَّاسَ.

قَالَ «حُنَيْنٌ»: يَا أَخِي هَذَا أَقَلُّ مِنْ ثَمَنِهِ، لَقَدْ قَدَّرْتُ أَنَّكَ قَادِمٌ مِنْ سَفَرٍ.

صَاحَ الْأَعْرَابِيُّ فِي وَجْهِهِ: إِنَّ قَلْبَكَ يَخْلُو مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَنْ أَدْفَعَ لَكَ إِلَّا خَمْسَةَ دَرَاهِمَ فَقَطْ!!

قَالَ «حُنَيْنٌ»: إِنَّ هَذَا يُسَبِّبُ لِيَ خَسَارَةً كَبِيرَةً، وَأَنْتَ لَا يُرْضِيكَ هَذَا!!

وَهُنَا صَاحَ الْأَعْرَابِيُّ آخِذًا بِخِنَاقِهِ: أَنْتَ رَجُلٌ جَشِعٌ مُسْتَغِلٌّ، وَلَنْ أَشْتَرِيَ مِنْكَ، وَسَأُحَدِّثُ النَّاسَ جَمِيعًا عَنْكَ وَعَنْ جَشَعِكَ.

ثُمَّ دَفَعَهُ الْأَعْرَابِيُّ بِيَدِهِ، فَوَقَعَ «حُنَيْنٌ» عَلَى الْأَرْضِ، وَحَمَلَ الْأَعْرَابِيُّ مَتَاعَهُ عَلَى نَاقَتِهِ وَانْصَرَفَ.

وَقَامَ «حُنَيْنٌ» إِلَى عَمَلِهِ، لَكِنَّهُ قَالَ لِنَفْسِهِ: وَاللَّهِ لَقَدْ ظَلَمَنِي هَذَا الْأَعْرَابِيُّ، وَاتَّهَمَنِي بِالْجَشَعِ وَالِاسْتِغْلَالِ، وَمِنْ حَقِّي أَنْ أَرُدَّ عَلَيْهِ هَذَا الظُّلْمَ.

وَأَسْرَعَ «حُنَيْنٌ» يَسْبِقُ الْأَعْرَابِيَّ فِي طَرِيقِهِ دُونَ أَنْ يَرَاهُ، وَوَضَعَ أَحَدَ خُفَّيْهِ بِحَيْثُ يَلْفِتُ نَظَرَ الْأَعْرَابِيِّ وَهُوَ يَسِيرُ، ثُمَّ وَضَعَ الْخُفَّ الْآخَرَ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ، وَوَقَفَ «حُنَيْنٌ» وَرَاءَ هَضَبَةٍ عَالِيَةٍ يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ الْأَعْرَابِيُّ.

وَلَمَّا مَرَّ الْأَعْرَابِيُّ فِي طَرِيقِهِ، رَأَى الْخُفَّ الْأَوَّلَ، فَقَالَ: مَا أَشْبَهَ هَذَا الْخُفَّ بِخُفِّ «حُنَيْنٍ» الْإِسْكَافِيِّ! وَلَوْ كَانَ مَعَهُ الْخُفُّ الْآخَرُ لَأَخَذْتُهُ.

تَرَكَهُ الْأَعْرَابِيُّ فِي مَكَانِهِ وَمَضَى، حَتَّى رَأَى الْخُفَّ الْآخَرَ، فَنَدِمَ عَلَى تَرْكِ الْخُفِّ الْأَوَّلِ، وَعَادَ لِيَأْخُذَهُ، وَتَرَكَ نَاقَتَهُ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ مَتَاعٍ بِجَانِبِ الْخُفِّ الْآخَرِ.

وَكَانَ «حُنَيْنٌ» يُشَاهِدُ مَا يَفْعَلُهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَلَمَّا وَجَدَهُ تَرَكَ نَاقَتَهُ وَمَتَاعَهُ لِيَحْصُلَ عَلَى الْخُفِّ الْأَوَّلِ، أَسْرَعَ «حُنَيْنٌ» إِلَى النَّاقَةِ وَذَهَبَ بِهَا وَبِمَا عَلَيْهَا!!

وَعَادَ الْأَعْرَابِيُّ وَمَعَهُ الْخُفُّ الْأَوَّلُ، فَوَجَدَ الْخُفَّ الْآخَرَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ نَاقَتَهُ وَمَا عَلَيْهَا مِنْ مَتَاعٍ!!

وَلَمْ يَجِدْ مَفرًّا.. فَعَادَ إلَى قَوْمِهِ وَلَيْسَ مَعَهُ غيْرُ خُفَّيْ حُنَيْنٍ!! فَسَخِرُوا مِنْهُ وَصَاحُوا بِهِ: مَاذَا جِئْتَ بِهِ مِنْ سَفَرِكَ يَا أَخِي؟

فَقَالَ: جِئْتُ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ!!

فَأَخَذُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، وَيَضْرِبُونَ بِهِ الْمَثَلَ فِي الْخَيْبَةِ وَالْخَسَارَةِ، وَيَقُولُونَ:

رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

أَطَالَ الْغَيْبَةَ.. وَعَادَ بِالْخَيْبَةِ.

رُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ.

لا تُبْلَغُ الْغَايَاتُ بِالْأَمَانِيِّ.



دَقَّةٌ.. بِدَقَّةٍ

يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُسِيءُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَيُسَلِّطُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَنْ يَنْتَقِمُ مِنْهُ جَزَاءَ إِسَاءَتِهِ.

كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ رَجُلٌ مِنْ كِبَارِ اللُّصُوصِ يُسَمَّى «مَسْرُورًا»، أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ عَنْ جَرَائِمِهِ، وَيَحْصُلَ عَلَى رِزْقِهِ عَنْ طَرِيقٍ شَرِيفٍ، فَكَفَّ عَنِ السَّرِقَةِ وَفَتَحَ مَتْجَرًا صَغِيرًا يَبِيعُ فِيهِ الْأَقْمِشَةَ. وَاشْتَهَرَ «مَسْرُورٌ» بِأَمَانَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَشْتَرُونَ بِضَاعَتَهُ وَيُودِعُونَ لَدَيْهِ أَمَانَاتِهِم.

وَذَاتَ يَوْمٍ مَرَّ عَلَى مَتْجَرِ «مَسْرُورٍ» أَحَدُ اللُّصُوصِ الْمُحْتَالِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَنَّ «مَسْرُورًا» كَانَ لِصًّا سَابِقًا، وَأَعْجَبَتْهُ بِضَاعَةُ «مَسْرُورٍ»، فَدَبَّرَ خُطَّةً لِسَرِقَةِ دُكَّانِهِ.

وَانْتَظَرَ اللِّصُّ الْمُحْتَالُ حَتَّى أَغْلَقَ «مَسْرُورٌ» دُكَّانَهُ فِي الْمَسَاءِ وَانْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ، ثُمَّ تَنَكَّرَ اللِّصُّ فِي ثِيَابٍ مُشَابِهَةٍ لِثِيَابِ «مَسْرُورٍ»، وَذَهَبَ إِلَى الدُّكَّانِ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَفْتَحَهُ بِسُهُولَةٍ!!

ثُمَّ نَادَى حَارِسَ السُّوقِ وَقَالَ لَهُ: خُذْ هَذِهِ الشَّمْعَةَ وَأَشْعِلْهَا لِيَ الْآنَ؛ فَإِنَّ عِنْدِي عَمَلًا أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهِ فِي الدُّكَّانِ.

وَأَشْعَلَ الْحَارِسُ الشَّمْعَةَ وَوَضَعَهَا عَلَى الْمَائِدَةِ، وَتَرَكَ اللِّصَّ فِي الدُّكَّانِ، وَهُوَ يَظُنُّهُ صَاحِبَ الدُّكَّانِ.

وَبَعْدَ قَلِيلٍ.. نَادَى اللِّصُّ الْحَارِسَ مَرَّةً أُخْرَى وَأَعْطَاهُ نُقُودًا، وَقَالَ لَهُ: أَتِمْ جَمِيلَكَ مَعِي وَأَحْضِرْ لِي جَمَّالًا، لِيَنْقُلَ عَلَى جَمَلِهِ بَعْضَ الْأَقْمِشَةِ إِلَى تَاجِرٍ آخَرَ اشْتَرَاهَا، وَيُرِيدُ السَّفَرَ اللَّيْلَةَ فِي سَفِينَةٍ.

وَأَسْرَعَ الْحَارِسُ فَأَحْضَرَ الْجَمَّالَ وَمَعَهُ جَمَلُهُ، وَسَاعَدَهُ فِي نَقْلِ الْأَقْمِشَةِ وَتَحْمِيلِهَا عَلَى الْجَمَلِ، ثُمَّ أَغْلَقَ اللِّصُّ الدُّكَّانَ وَأَوْصَى الْحَارِسَ بِالْيَقَظَةِ، وَوَدَّعَهُ الْحَارِسُ بِكُلِّ احْتِرَامٍ، وَهُوَ مَا زَالَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ «مَسْرُورٌ» صَاحِبُ الدُّكَّانِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ «مَسْرُورٌ» إِلَى دُكَّانِهِ كَعَادَتِهِ، وَاكْتَشَفَ السَّرِقَةَ وَوَجَدَ بَقَايَا الشَّمْعَةِ فَوْقَ الْمَائِدَةِ، فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَدْعَى حَارِسَ السُّوقِ لِيَسْأَلَهُ عَمَّا حَدَثَ.

فَقَالَ لَهُ الْحَارِسُ: إِنَّنِي هُنَا يَا سَيِّدِي طَوَالَ اللَّيْلِ، وَبَعْدَ أَنِ انْصَرَفْتَ بِالْأَقْمِشَةِ وَقَفْتُ أَمَامَ الدُّكَّانِ حَتَّى الصَّبَاحِ.

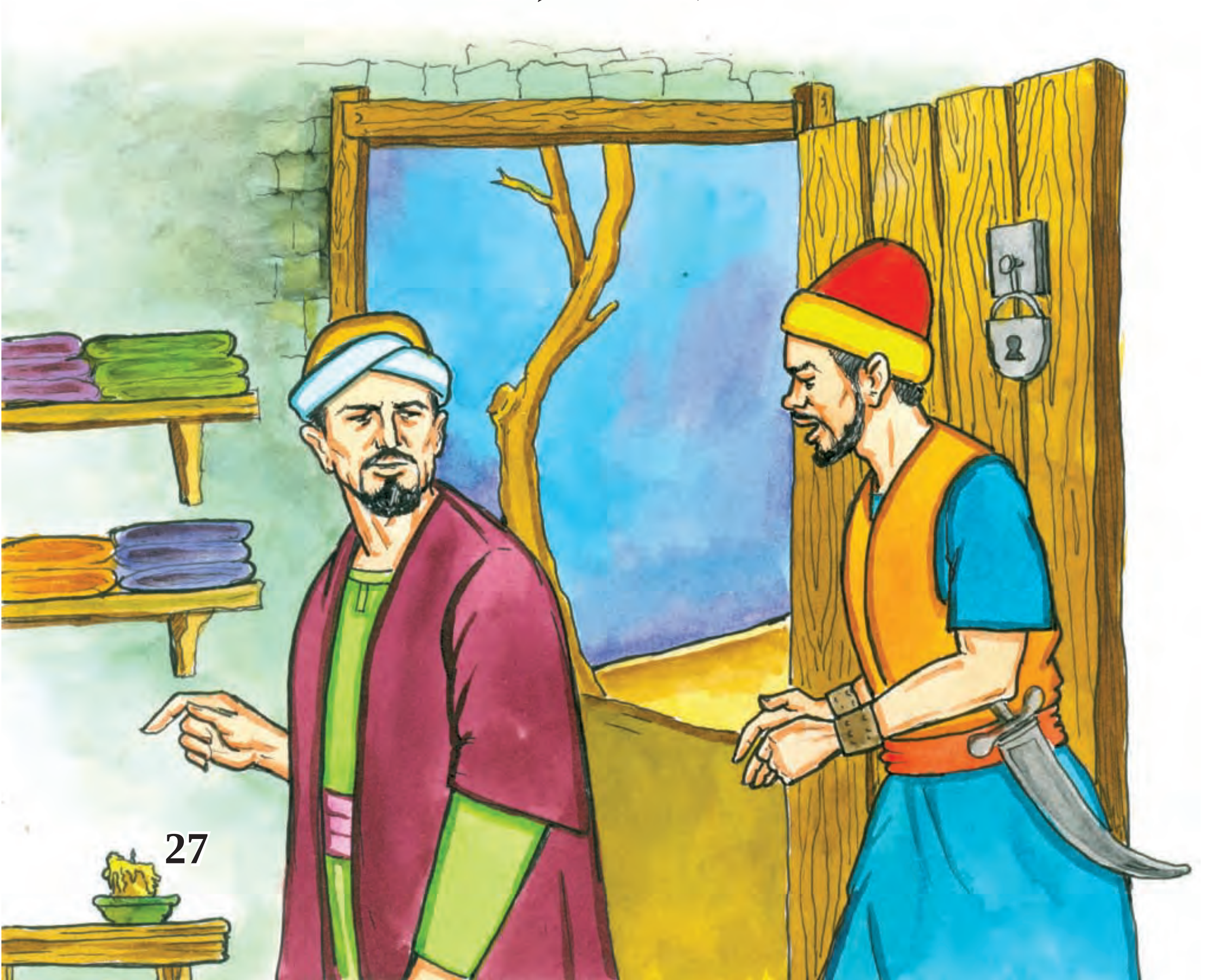
وَلَمْ يَفْهَمْ «مَسْرُورٌ» شَيْئًا مِنْ كَلَامِ الْحَارِسِ، لَكِنَّهُ أَخَذَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَدْرِجُهُ فِي الْحَدِيثِ حَتَّى عَرَفَ مِنْهُ مَا حَدَثَ تَمَامًا.

وَأَدْرَكَ «مَسْرُورٌ» أَنَّ الْحَارِسَ الْمِسْكِينَ كَانَ ضَحِيَّةً لِحِيلَةِ لِصٍّ مُحْتَالٍ.

ثُمَّ سَأَلَ «مَسْرُورٌ» الْحَارِسَ: هَلْ تَعْرِفُ الْجَمَّالَ الَّذِي أَتَيْتَ بِهِ لَيْلَةَ أَمْسِ؟

قَالَ الْحَارِسُ: نَعَمْ أَعْرِفُهُ.

فَطَلَبَ «مَسْرُورٌ» مِنْهُ أَنْ يَصْحَبَهُ إِلَى بَيْتِ الْجَمَّالِ.



وَحِينَمَا وَصَلَ «مَسْرُورٌ» إِلَى بَيْتِ الْجَمَّالِ.. طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى السَّفِينَةِ الَّتِي نَقَلَ إِلَيْهَا الْأَقْمِشَةَ، فَدَلَّهُ عَلَيْهَا.

وَذَهَبَ «مَسْرُورٌ» وَالْحَارِسُ إِلَى السَّفِينَةِ وَأَخَذَا يُفَتِّشَانِ فِيهَا عَنِ الْأَقْمِشَةِ، لَكِنَّهُمَا لَمْ يَجِدَا شَيْئًا!

وَذَهَبَ «مَسْرُورٌ» إِلَى صَاحِبِ السَّفِينَةِ قَائِلًا لَهُ: أَلَمْ يَأْتِ إِلَيْكَ لَيْلَةَ أَمْسِ تَاجِرٌ مَعَهُ أَقْمِشَةٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَهَا عَلَى سَفِينَتِكَ؟

فَأَجَابَهُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ: نَعَمْ.. جَاءَنِي لَيْلَةَ أَمْسِ تَاجِرٌ وَمَعَهُ أَقْمِشَةٌ كَثِيرَةٌ، لَكِنَّهُ عَدَلَ عَنْ رَغْبَتِهِ فِي السَّفَرِ، بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ السَّفِينَةَ سَوْفَ تَتَأَخَّرُ هُنَا يَوْمَيْنِ، وَقَالَ إِنَّهُ سَيُعِيدُ الْأَقْمِشَةَ إِلَى مَخْزَنِهِ، وَجَاءَ بِجَمَلٍ آخَرَ فَحَمَّلَهَا عَلَيْهِ وَذَهَبَ.

فَلَمَّا سَمِعَ «مَسْرُورٌ» ذَلِكَ طَلَبَ مِنْ صَاحِبِ السَّفِينَةِ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى صَاحِبِ الْجَمَلِ الَّذِي عَادَ بِالْأَقْمِشَةِ، فَدَلَّهُ عَلَيْهِ.

وَذَهَبَ «مَسْرُورٌ» إِلَى الْجَمَّالِ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَدُلَّهُ عَلَى الْمَخْزَنِ الَّذِي وَضَعَ فِيهِ اللِّصُّ الْأَقْمِشَةَ الْمَسْرُوقَةَ.

وَسَارَ الْجَمَّالُ وَ«مَسْرُورٌ» وَالْحَارِسُ حَتَّى وَصَلَ الْجَمِيعُ إِلَى كَهْفٍ مَهْجُورٍ فِي الصَّحْرَاءِ، وَأَشَارَ الْجَمَّالُ إِلَى الْكَهْفِ قَائِلًا: لَقَدْ أَنْزَلْتُ الْأَقْمِشَةَ هُنَا فِي هَذَا الْكَهْفِ.

وَدَخَلَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْكَهْفِ، وَلَمْ يَكُنْ بِهِ اللِّصُّ الْمُحْتَالُ، فَحَمَّلُوا الْأَقْمِشَةَ عَلَى الْجَمَلِ، وَمَعَهَا ثَوْبٌ جَدِيدٌ مِنْ أَثْوَابِ الْمُحْتَالِ، وَعَادُوا بِهَا إِلَى دُكَّانِ «مَسْرُورٍ».

وَيَعُودُ اللِّصُّ الْمُحْتَالُ إِلَى الْكَهْفِ، فَلَا يَجِدُ الْأَقْمِشَةَ الَّتِي خَبَّأَهَا وَلَا يَجِدُ ثَوْبَهُ الْجَدِيدَ!! وَفَكَّرَ اللِّصُّ فِي الْأَمْرِ، وَقَرَّرَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى دُكَّانِ «مَسْرُورٍ».

وَكَانَ «مَسْرُورٌ» فِي دُكَّانِهِ مَشْغُولًا يَبِيعُ بِضَاعَتَهُ لِبَعْضِ زَبَائِنِهِ، وَكَانَ قَدْ عَلَّقَ ثَوْبَ اللِّصِّ فِي مَكَانٍ ظَاهِرٍ فَوْقَ الْحَائِطِ!!

وَيُقْبِلُ اللِّصُّ، فَيَرَى ثَوْبَهُ الْجَدِيدَ مُعَلَّقًا فَوْقَ الْحَائِطِ، كَمَا رَأَى الْأَقْمِشَةَ الَّتِي كَانَ سَرَقَهَا قَدْ عَادَتْ إِلَى مَكَانِهَا فِي الدُّكَّانِ!!

وَاقْتَرَبَ اللِّصُّ مِنْ «مَسْرُورٍ»، وَحَيَّاهُ فِي أَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبِيعَهُ الثَّوْبَ الْمُعَلَّقَ فَوْقَ الْحَائِطِ، فَأَحْضَرَهُ «مَسْرُورٌ» إِلَى اللِّصِّ، فَأَخَذَ اللِّصُّ يُقَلِّبُهُ وَيَنْظُرُ فِيهِ،

ثُمَّ ارْتَدَاهُ لِيُجَرِّبَهُ عَلَى جِسْمِهِ، وَ«مَسْرُورٌ» يُرَاقِبُهُ وَيَتَأَمَّلُهُ.

ثُمَّ قَالَ اللِّصُّ لِـ «مَسْـــرُورٍ»: سَامِحْنِي يَا سَـــيِّدِي.. فَأَنَا شَابٌّ فَقِيرٌ مِسْكِينٌ، وَفِي حَاجَةٍ إِلَى هَذَا الثَّوْبِ الْمُنَاسِبِ لِجِسْمِي، وَكَأَنَّهُ فُصِّلَ عَلَيَّ تَمَامًا!!

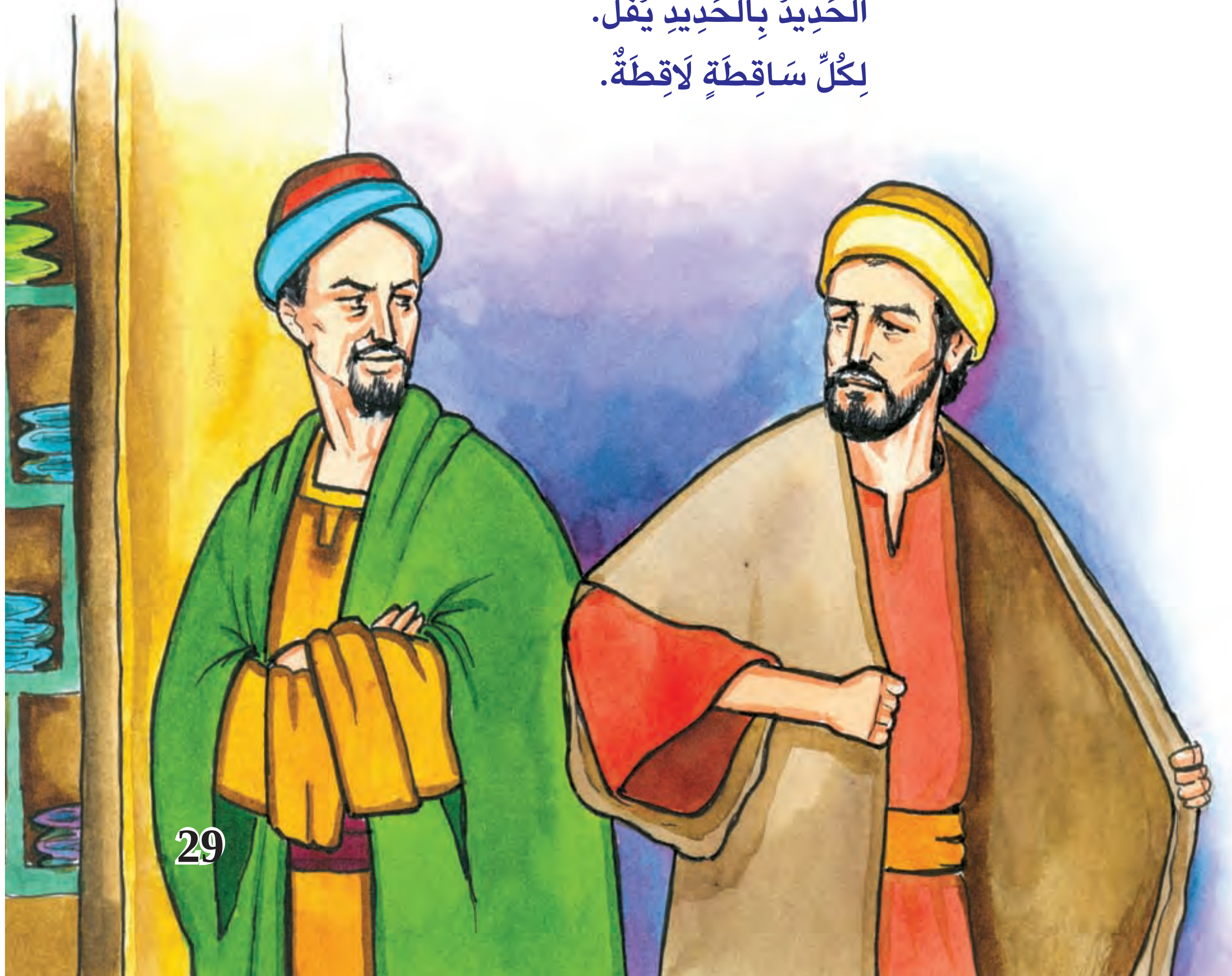
فَقَالَ «مَسْرُورٌ»: بِكَمْ تُرِيدُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ يَا أَخِي؟

قَـــالَ اللِّصُّ: أَنَا أَعْرِفُ ثَمَنَهُ، إِنَّكَ لَمْ تَدْفَعْ فِيهِ شَـــيْئًا؛ وَلِهَذَا أَرْجُو أَنْ تَسْـــمَحَ لِي بِالانْصِرَافِ.

وَهُنَا.. تَأَكَّدَ «مَسْرُورٌ» أَنَّ هَذَا الشَّابَّ هُوَ اللِّصُّ الْمُحْتَالُ الَّذِي سَرَقَ بِضَاعَتَهُ لَيْلَةَ أَمْسِ، وَلَمْ يُعْطِهِ ثَوْبَهُ حَتَّى عَاهَدَهُ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْكَفِّ عَنِ السَّرِقَةِ.

أَلَا تَرَى أَنَّهَا دَقَّةٌ.. بِدَقَّةٍ!!

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:
السِّنُّ بِالسِّنِّ.. وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ.
الْحَدِيدُ بِالْحَدِيدِ يُفَلُّ.
لِكُلِّ سَاقِطَةٍ لَاقِطَةٌ.



مُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

يُضْرَبُ لِلْأَمْرِ الْكَبِيرِ.. يَبْدَأُ صَغِيرًا.. ثُمَّ يَكْبُرُ!!

كَانَ يَعِيشُ فِي إِحْدَى الْقُرَى صَيَّادٌ فَقِيرٌ، لَهُ كَلْبٌ يَتْبَعُهُ دَائِمًا فِي رِحْلَاتِهِ وَيَقُومُ عَلَى حِرَاسَتِهِ وَحِرَاسَةِ صَيْدِهِ.

اعْتَادَ الصَّيَّادُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ، فَيَبِيعُ صَيْدَهُ، وَيُنْفِقُ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي شِرَاءِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ لَهُ وَلِأَوْلَادِهِ.

وَكَانَ الْكَلْبُ شَدِيدَ الْوَفَاءِ، وَكَثِيرًا مَا كَانَ يُنَبِّهُهُ إِلَى الْأَخْطَارِ وَيَحْمِيهِ مِنَ اللُّصُوصِ، فَأَحَبَّهُ الصَّيَّادُ وَلَمْ يَبْخَلْ عَلَيْهِ بِالطَّعَامِ وَالرِّعَايَةِ وَالنَّظَافَةِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ عَادَ الصَّيَّادُ إِلَى بَيْتِهِ حَزِينًا دُونَ أَنْ يَصِيدَ شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِهِ طَعَامٌ يَكْفِيهِ هُوَ وَأَوْلَادَهُ وَكَلْبَهُ الْوَفِيَّ.

أَخَذَ الصَّيَّادُ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ يَبِيعُهُ وَيَشْتَرِي بِثَمَنِهِ الطَّعَامَ، فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ وِعَاءٍ بِهِ عَسَلٌ!!

وَعَلَى الْفَوْرِ.. أَسْرَعَ الصَّيَّادُ إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ وَمَعَهُ وِعَاءُ الْعَسَلِ وَخَلْفَهُ كَلْبُهُ الصَّغِيرُ، وَاقْتَرَبَ مِنْ أَحَدِ الْبَقَّالِينَ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ شِرَاءَ الْعَسَلِ.

لَكِنَّ الْبَقَّالَ قَالَ لِلصَّيَّادِ: لَا حَاجَةَ لِي بِهَذَا الْعَسَلِ، ابْحَثْ عَنْ غَيْرِي!

وَمَرَّ الصَّيَّادُ بِبَقَّالٍ ثَانٍ.. وَثَالِثٍ.. وَرَابِعٍ.. وَخَامِسٍ.. لَكِنَّهُ لَمْ يُوَفَّقْ فِي بَيْعِ الْعَسَلِ، فَتَرَكَ الصَّيَّادُ الْقَرْيَةَ وَسُوقَهَا، وَذَهَبَ إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى مُجَاوِرَةٍ!

وَتَحَدَّثَ مَعَ أَحَدِ الْبَقَّالِينَ قَائِلًا: يَا أَخِي.. إِنَّ مَعِي وِعَاءً بِهِ عَسَلٌ، وَأُرِيدُ أَنْ أَبِيعَهُ وَأَشْتَرِيَ بِثَمَنِهِ طَعَامًا لِي وَلِأَوْلَادِي وَلِهَذَا الْكَلْبِ الصَّغِيرِ.

فَطَلَبَ مِنْهُ الْبَقَّالُ أَنْ يَضَعَ لَهُ مِنْ وِعَاءِ الْعَسَلِ قَطَرَاتٍ فِي وِعَاءٍ آخَرَ أَحْضَرَهُ مِنْ دُكَّانِهِ، وَفَجْأَةً.. أَقْبَلَتْ نَحْلَةٌ صَغِيرَةٌ فَوَقَعَتْ فِي وِعَاءِ الْعَسَلِ، وَكَانَ لِلْبَقَّالِ قِطٌّ صَغِيرٌ

يَرْعَاهُ فِي دُكَّانِهِ يَقِفُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَائِدَةِ الْبَقَّالِ، فَلَمَّا رَأَى النَّحْلَةَ قَدْ وَقَعَتْ فِي الْعَسَلِ، قَفَزَ الْقِطُّ فَوْقَ الْمَائِدَةِ وَالْتَهَمَ النَّحْلَةَ!!

فَلَمَّا رَأَى كَلْبُ الصَّيَّادِ ذَلِكَ، نَبَحَ فِي وَجْهِ الْقِطِّ وَظَلَّ يُطَارِدُهُ حَتَّى لَحِقَهُ وَأَنْشَبَ فِيهِ أَنْيَابَهُ حَتَّى قَتَلَهُ!

وَلَمْ يَتَمَالَكِ الْبَقَّالُ نَفْسَهُ وَهُوَ يَرَى مَا وَقَعَ لِقِطِّهِ فَأَمْسَكَ بِعَصًا غَلِيظَةٍ وَهَوَى بِهَا عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ.. وَأَخَذَ يَضْرِبُهُ بِهَا حَتَّى قَتَلَهُ!!



وَرَأَى الصَّيَّادُ مَا حَدَثَ لِكَلْبِهِ، فَأَمْسَكَ بِرَقَبَةِ الْبَقَّالِ بِغَضَبٍ وَشِدَّةٍ حَتَّى خَنَقَهُ!!

وَجَرَى الصَّيَّادُ مُسْرِعًا نَحْوَ قَرْيَتِهِ.

وَتَجَمَّعَ النَّاسُ يُطَارِدُونَ الصَّيَّادَ حَتَّى أَمْسَكُوا بِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ قَرْيَتِهِمْ، وَانْهَالُوا عَلَيْهِ ضَرْبًا حَتَى قَضَوْا عَلَيْهِ!!

وَلَمَّا عَرَفَ أَهْلُ قَرْيَةِ الصَّيَّادِ بِمَا حَدَثَ، حَمَلُوا عِصِيَّهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ، وَأَسْرَعُوا إِلَى قَرْيَةِ الْبَقَّالِ الَّتِي قَتَلَتِ الصَّيَّادَ وَهَاجَمُوا أَهْلَهَا، وَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مَعْرَكَةٌ قُتِلَ فِيهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ!!



وَلَمْ يَتَوَقَّفِ الْقِتَالُ بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ إِلَّا بِتَدَخُّلِ الشُّرْطَةِ وَكِبَارِ الْقَوْمِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بَعْدَ أَنْ فَقَدَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَفْرَادًا كَثِيرِينَ وَشَبَابًا وَأَطْفَالًا وَنِسَاءً!!

وَكَانَ سَبَبُ هَذَا الشَّرِّ الْكَبِيرِ ذَلِكَ الشَّيْءَ الصَّغِيرَ الَّذِي بَدَأَ بِنُقْطَةِ الْعَسَلِ!! حَقًّا...

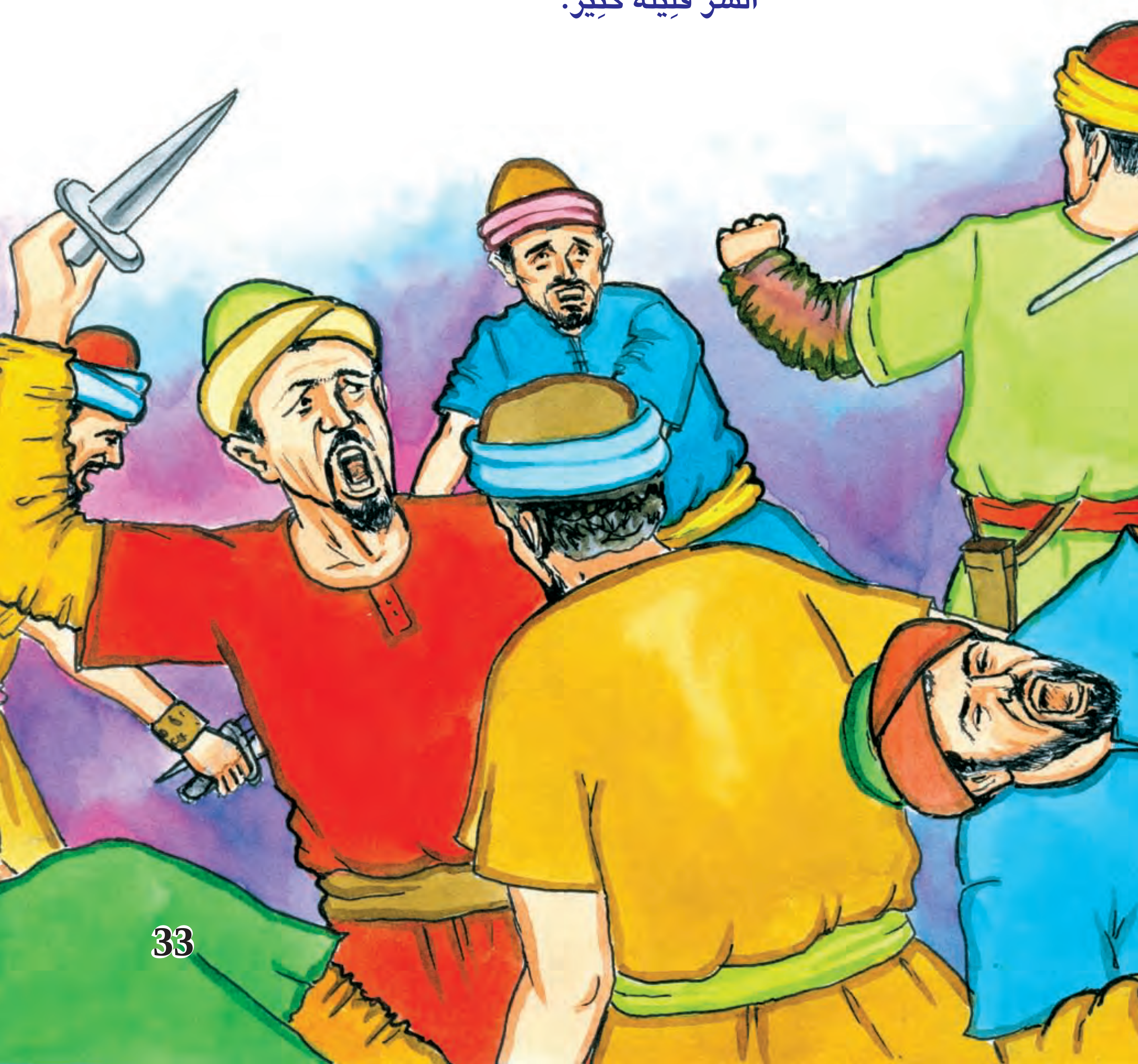
مُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

صَغِيرُ الشَّيْءِ يُوشِكُ يَوْمًا أَنْ يَكْبُرَ.

أَشْرَى الشَّرِّ.. صِغَارُهُ.

الشَّرُّ قَلِيلُهُ كَثِيرٌ.



مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

يُضْرَبُ فِي مُشَابَهَةِ الْفَرْعِ لِأَصْلِهِ.

جَمَعَ الشَّيْخُ «نِزَارٌ» أَوْلَادَهُ الْأَرْبَعَةَ، وَقَالَ لَهُمْ:

يَا أَبْنَائِي إِنَّنِي أَشْعُرُ بِقُرْبِ رَحِيلِي عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا، وَقَدْ رَبَّيْتُكُمْ فَأَحْسَنْتُ تَرْبِيَتَكُمْ، وَوَضَعْتُ فِيكُمُ الْخُلُقَ الْحَسَنَ وَالْحِكْمَةَ الْبَالِغَةَ، وَلِهَذَا جَمَعْتُكُمُ الْيَوْمَ لِأُقَسِّمَ بَيْنَكُمْ مَالِي قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ.

صَاحَ أَكْبَرُ أَبْنَائِهِ: أَبْقَاكَ اللَّهُ لَنَا يَا أَبَتِ.. وَأَطَالَ عُمْرَكَ.

قَالَ الْأَبُ: يَا أَبْنَائِي.. الْأَعْمَارُ بِيَدِ اللَّهِ، وَالْمَوْتُ حَقٌّ عَلَيْنَا.

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ تَكُونَ الْقُبَّةُ الْحَمْرَاءُ مِنْ نَصِيبِ أَكْبَرِكُمْ، أَمَّا التَّالِي فَنَصِيبُهُ الْفَرَسُ وَالْخَيْمَةُ السَّوْدَاءُ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَنَصِيبُهُ الْخَادِمُ الْعَجُوزُ، وَأَمَّا أَصْغَرُكُمْ فَلَهُ مَجْلِسِي هَذَا.

فَإِنِ اخْتَلَفْتُمْ بَعْدَ رَحِيلِي، فَاذْهَبُوا إِلَى رَجُلٍ يُدْعَى «الْجُرْهُمِيَّ» فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ.

وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ حَتَّى مَاتَ أَبُوهُمْ، وَاخْتَلَفَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ حَوْلَ مِيرَاثِ أَبِيهِمْ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْحَكِيمِ «الْجُرْهُمِيِّ».

وَبَيْنَمَا هُمْ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى «الْجُرْهُمِيِّ»، أَرَادُوا أَنْ يَسْتَرِيحُوا فِي ظِلِّ رَبْوَةٍ خَضْرَاءَ، فَرَأَى كَبِيرُهُمْ أَثَرًا لِعُشْبٍ مَأْكُولٍ، فَقَالَ: إِنَّ الْجَمَلَ الَّذِي رَعَى هَذَا الْعُشْبَ جَمَلٌ أَعْوَرُ!!

وَقَالَ الثَّانِي: وَهُوَ أَيْضًا أَزْوَرُ ـ أَيْ مُعْوَجُّ الصَّدْرِ يَمِيلُ أَحَدُ جَانِبَيْهِ عَنِ الْآخَرِ.

وَقَالَ الثَّالِثُ: وَهُوَ أَيْضًا أَبْتَرُ الذَّنَبِ ـ أَيْ مَقْطُوعُ الذَّيْلِ.

وَقَالَ الْأَصْغَرُ: وَهُوَ أَيْضًا جَمَلٌ شَرُودٌ أَحْمَقُ، لَا يَمِيلُ إِلَى الْأَرْضِ كَثِيرَةِ الْعُشْبِ وَيَذْهَبُ إِلَى الْعُشْبِ الْقَلِيلِ.

ثُمَّ سارَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ قَلِيلًا، فَرَأَوْا رَجُلًا يَجْلِسُ حَزِينًا بِجانِبِ شَجَرَةِ نَخِيلٍ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِ يَسْأَلُونَهُ عَمَّا يُحْزِنُهُ.

فَقالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ شَرَدَ مِنِّي جَمَلِي فِي الصَّحْراءِ، وَبَحَثْتُ عَنْهُ فَلَمْ أَجِدْهُ.

قالَ أَكْبَرُ الْأَبْناءِ: أَهُوَ جَمَلٌ أَعْوَرُ؟

قالَ صاحِبُ الْجَمَلِ: نَعَمْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ أَعْوَرُ!!

وَقالَ الثَّانِي: أَهُوَ جَمَلٌ أَزْوَرُ؟

وَرَدَّ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَأَزْوَرُ حَقًّا!!

وَقالَ الثَّالِثُ: أَهُوَ جَمَلٌ أَبْتَرُ؟

فَقالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ وَاللَّهِ إِنَّهُ كَذَلِكَ!!

وَقالَ أَصْغَرُهُمْ: أَهُوَ جَمَلٌ شَرُودٌ؟

فَقالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ وَاللَّهِ، إِنَّكُمْ وَصَفْتُمْ جَمَلِي وَصْفًا دَقِيقًا، فَدُلُّونِي عَلَيْهِ.

قالَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ: وَاللَّهِ ما رَأَيْنا جَمَلَكَ هَذا يا رَجُلُ، فَابْحَثْ عَنْهُ.

قالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أُصَدِّقُكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ جَمَلِي بِما فِيهِ؟! إِنَّكُمْ تَسْخَرُونَ مِنِّي وَتَخْدَعُونَنِي، وَاللَّهِ لَنْ أَتْرُكَكُمْ حَتَّى تَدُلُّونِي عَلَيْهِ!

وَتَشاجَرَ الرَّجُلُ مَعَ الْإِخْوَةِ الْأَرْبَعَةِ، وَقالَ لَهُمْ: لَنْ أَتْرُكَكُمْ حَتَّى أَشْكُوَكُمْ إِلَى الْحَكِيمِ «الجُرْهُمِيِّ»!



وَهُنَـــا وَافَقَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ؛ فَقَدْ وَجَدُوا مَنْ يَدُلُّهُمْ عَلَى هَذَا الْحَكِيمِ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الْحَكِيمِ «الْجُرْهُمِيِّ»، قَالَ الرَّجُلُ: يَا سَيِّدِي.. هَؤُلَاءِ أَخَذُوا جَمَلِي، وَوَصَفُوهُ لِي، ثُمَّ قَالُوا: لَمْ نَرَهُ!! فَسَأَلَهُمُ الْحَكِيمُ: كَيْفَ وَصَفْتُمْ جَمَلَ هَذَا الرَّجُلِ وَلَمْ تَرَوْهُ؟

قَالَ الْأَخُ الْأَكْبَرُ: يَا سَيِّدِي.. لَقَدْ رَأَيْتُ الْجَمَلَ قَدْ رَعَى جَانِبًا مِنَ الْعُشْبِ وَتَرَكَ جَانِبًا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ جَمَلٌ أَعْوَرُ.

وَقَالَ الثَّانِي: وَأَنَا رَأَيْتُ إِحْدَى يَدَيْهِ ثَابِتَةَ الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى غَيْرَ ثَابِتَةٍ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَزْوَرُ مُعْوَجُّ الصَّدْرِ يَمِيلُ بِأَحَدِ جَانِبَيْهِ.

وَقَالَ الثَّالِثُ: أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُ أَنَّه أَبْتَرُ مَقْطُوعُ الذَّيْلِ، حِينَمَا رَأَيْتُ اجْتِمَاعَ فَضَلَاتِهِ، فَلَوْ كَانَ لَهُ ذَيْلٌ لَأَزَالَهَا وَفَرَّقَهَا بِذَيْلِه.

وَقَالَ الْأَصْغَرُ: عَرَفْتُ أَنَّهُ جَمَلٌ شَرُودٌ أَحْمَقُ؛ لِأَنَّهُ يَأْكُلُ وَيَرْعَى فِي الْمَكَانِ الَّذِي يَقِلُّ فِيهِ الْعُشْبُ تَارِكًا الْمَكَانَ الَّذِي يَطِيبُ وَيَكْثُرُ فِيهِ الْعُشْبُ.

وَهُنَا هَزَّ الْحَكِيمُ «الْجُرْهُمِيُّ» رَأْسَــهُ عَجَبًا، وَقَــالَ لِصَاحِبِ الْجَمَلِ: أَيُّهَا الرَّجُلُ.. اذْهَبْ إِلَى حَالِ سَبِيلِكَ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَى هَؤُلَاءِ جَمَلَكَ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ عَنْهُ.

وَانْصَرَفَ الرَّجُلُ يَحْمِلُ الْخَيْبَةَ وَالْحُزْنَ.

ثُمَّ سَأَلَ الْحَكِيمُ الْإِخْوَةَ الْأَرْبَعَةَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ وَمَا قَضِيَّتُكُمْ؟

فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ «نِزَارٍ».. وَقَصُّوا عَلَيْهِ حِكَايَتَهُمْ.

ثُمَّ رَحَّبَ بِهِمُ الْحَكِيمُ وَأَخَذَ يُرَاقِبُ سُــلُوكَهُمْ وَأَقْوَالَهُــمْ وَأَفْعَالَهُمْ، وَتَعَجَّبَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَذَكَائِهِمْ وَحِكْمَتِهِمْ.

وَبَعْــدَ أَيَّامٍ جَمَعَهُمُ الْحَكِيمُ وَقَالَ لَهُمْ: وَاللَّهِ إِنِّي أَرَى فِيكُمْ حِكْمَةَ أَبِيكُمْ، وَإِنَّكُمْ لَا تَحْتَاجُونَ إِلَى حَكِيمٍ بَيْنَكُمْ، وَمَا وَصِيَّةُ أَبِيكُمْ إِلَّا رُمُوزٌ طَلَبَ مِنْكُمْ أَنْ تَحُلُّوهَا!!

قَالَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ: مَا دُمْنَا جِئْنَاكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ، فَاحْكُمْ بَيْنَنَا.

قَالَ الْحَكِيمُ: لَقَدْ أَوْصَى أَبُوكُمْ لِأَكْبَرِكُمْ بِالْقُبَّةِ الْحَمْرَاءِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ لَهُ الدَّنَانِيرَ وَالْإِبِلَ الْحَمْرَاءَ.

وَأَمَّا الثَّانِي.. فَقَدْ أَوْصَى لَهُ أَبُوكُمْ بِالْفَرَسِ وَالْخَيْمَةِ السَّــوْدَاءِ؛ أَيْ أَنَّ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْوَدَ مِنَ الْخَيْلِ وَالْخِيَامِ.

وَأَمَّا أَخُوكُمُ الثَّالِثُ.. فَقَدْ أَوْصَى لَهُ أَبُوكُمْ بِالْخَادِمِ الْعَجُوزِ؛ وَمَا أَشْبَهَهَا بِالْمَاشِيَةِ وَالْأَغْنَامِ الصَّغِيرَةِ.

وَأَمَّا أَصْغَرُكُمْ.. فَقَدْ أَوْصَى لَهُ أَبُوكُمْ بِالْمَجْلِسِ؛ أَيْ بِمَا فَضَلَ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَمَا تَبَقَّى بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَالَ لَهُمُ الْحَكِيمُ: مَنْ أَشْــبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، وَالْفُرُوعُ دَائِمًا تُشْبِهُ أُصُولَهَا، وَأَنَا أَرَاكُمْ تُشْبِهُونَ أَبَاكُمْ فِي سَدَادِ الرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ، فَارْجِعُوا إِلَى أَرْضِكُمْ يَرْعَاكُمُ اللَّهُ.

فَعَادَ الْإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ وَقَسَّــمُوا مِيرَاثَ أَبِيهِمْ، وَعَاشُوا حَيَاةً سَعِيدَةً هَانِئَةً، وَصَدَقَ قَوْلُ الْحَكِيمِ:

مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْغُصْنُ مِنَ الشَّجَرَةِ.

هَذَا الشِّبْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ.

كُلُّ فَتَاةٍ بِأَبِيهَا مُعْجَبَةٌ.

سَعَةُ الْحِيلَةِ.. لا تَعْدِمُ الْوَسِيلَةَ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَسْتَخْدِمُ عَقْلَهُ فَيُنْجِيهِ مِنَ الْمَهَالِكِ.

اهْتَمَّ النَّاسُ قَدِيمًا بِتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِمْ، وَكَانَ الْأُمَرَاءُ يَسْتَخْدِمُونَ الْحُكَمَاءَ لِهَذَا الْغَرَضِ. وَلَقَدْ عَهِدَ أَحَدُ الْأُمَرَاءِ بِوَلَدٍ لَهُ يُدْعَى «إِسْمَاعِيلَ» ـ أَرَادَ أَنْ يُعَلِّمَهُ وَيُرَبِّيَهُ وَيُهَيِّئَهُ لِكَيْ يَكُونَ خَلِيفَةً لَهُ ـ إِلَى أَحَدِ الْحُكَمَاءِ وَيُسَمَّى الْحَكِيمِ «وَهْدَانَ».

وَاسْتَجَابَ «إِسْمَاعِيلُ» فَتَعَلَّمَ الْكَثِيرَ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، كَمَا اسْتَطَاعَ الْحَكِيمُ أَنْ يَكْتَشِفَ فِي «إِسْمَاعِيلَ» مَوْهِبَةَ الرَّسْمِ، فَأَحْضَرَ لَهُ أَدَوَاتِ الرَّسْمِ وَاللَّوْحَاتِ حَتَّى أَتْقَنَ «إِسْمَاعِيلُ» هَذَا الْفَنَّ الْجَمِيلَ، وَرَسَمَ بَعْضَ اللَّوْحَاتِ الَّتِي عَلَّقَهَا أَبُوهُ فَوْقَ جُدْرَانِ الْقَصْرِ، وَزَيَّنَ بِهَا الْقَاعَاتِ وَالْغُرَفَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ «إِسْمَاعِيلُ» وَحْدَهُ لِلصَّيْدِ، وَأَخَذَ مَعَهُ أَدَوَاتِ الرَّسْمِ لِيُصَوِّرَ بَعْضَ مَنَاظِرِ الطَّبِيعَةِ الْجَمِيلَةِ، وَيَعُودَ بِهَا إِلَى أَبِيهِ فِي الْمَسَاءِ.

وَمَكَثَ طَوَالَ يَوْمِهِ فِي الْجَرْيِ وَرَاءَ الْحَيَوَانَاتِ، حَتَّى أَحَسَّ بِالتَّعَبِ، فَلَجَأَ إِلَى ظِلِّ رَبْوَةٍ لِيَنَالَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ.

وَمَرَّ بِهَذِهِ الرَّبْوَةِ ثَلَاثَةٌ مِنَ اللُّصُوصِ، وَفَاجَئُوا «إِسْمَاعِيلَ»، فَاسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ مَذْعُورًا، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْفَتَى، وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟

قَالَ «إِسْمَاعِيلُ»: اسْمِي «إِسْمَاعِيلُ»، وَجِئْتُ مِنْ مَدِينَةٍ بَعِيدَةٍ.

قَالَ الزَّعِيمُ: أَمَّا نَحْنُ فَلُصُوصٌ، وَقُطَّاعُ طُرُقٍ، وَسَوْفَ نَأْخُذُ مَا مَعَكَ أَوَّلًا، ثُمَّ تَعْمَلُ مَعَنَا لِصًّا!!

قَالَ «إِسْمَاعِيلُ»: خُذُوا مَا مَعِي كَمَا تَشَاءُونَ، لَكِنِّي لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أَسْرِقُ!

قَالَ الزَّعِيمُ: لَا بَأْسَ.. سَنُعَلِّمُكَ فُنُونَ السَّرِقَةِ.

وَهُنَا فَكَّرَ «إِسْمَاعِيلُ» فِي حِيلَةٍ يَتَخَلَّصُ بِهَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَشْرَارِ، فَقَالَ لَهُمْ: يُمْكِنُنِي أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يَنْفَعُكُمْ: أَصِيدُ لَكُمُ الْحَيَوَانَاتِ، وَأَجْمَعُ لَكُمُ الْأَخْشَابَ، وَأُوقِدُ النِّيرَانَ.

وَافَقَ اللُّصُوصُ عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ اقْتَرَبَ زَعِيمُهُمْ مِنْ حِصَانِ «إِسْـــمَاعِيلَ» فَرَأَى أَوْرَاقًا وَأَقْلَامًا، فَسَأَلَ «إِسْـــمَاعِيلَ» عَنْ هَذَا، فَقَالَ لَهُ: هِيَ أَوْرَاقِي أَرْسُمُ فِيهَا أَشْيَاءً كَثِيرَةً: أَرْسُمُ الْأَشْجَارَ، وَالطُّيُورَ، وَالطَّبِيعَةَ، وَالْحَيَوَانَاتِ.

وَأَخَذَ اللُّصُوصُ يَتَسَابَقُونَ لِكَيْ يَرْسُـــمَهُمْ «إِسْمَاعِيلُ»!! لَكِنَّ الزَّعِيمَ سَأَلَهُ قَائِلًا: وَكَيْفَ نَنْتَفِعُ بِهَذَا الرَّسْمِ؟

فَكِّرْ يَا «إِسْمَاعِيلُ»: كَيْفَ تَنْفَعُنَا لَوْحَاتُكَ.. هَلْ تَجْلِبُ لَنَا مَالًا؟

وَكَأَنَّ اللُّصُوصَ قَدْ فَتَحُوا أَمَامَ «إِسْمَاعِيلَ» طَرِيقَ الْخَلَاصِ.

وَعَلَى الْفَوْرِ قَالَ «إِسْمَاعِيلُ»: إِنِّي أَعْرِفُ أَمِيرًا فِي إِحْدَى الْمُدُنِ الْقَرِيبَةِ يُزَيِّنُ جُدْرَانَ قَصْرِهِ بِلَوْحَاتٍ كَهَذِهِ اللَّوْحَاتِ، وَيَدْفَعُ ثَمَنًا كَبِيرًا فِيمَا يُعْجِبُهُ مِنْ لَوْحَاتٍ.

سَأَلَهُ الزَّعِيمُ: وَهَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ فَعَلْتَ هَذَا مَعَ الْأَمِيرِ؟

قَالَ «إِسْمَاعِيلُ»: لَمْ يَسْبِقْ لِي، لَكِنِّي أَعْرِفُ كَيْفَ أُقَدِّمُ لَهُ اللَّوْحَاتِ؛ فَهُنَاكَ فِي الْقَصْرِ حَكِيمٌ يُسَمَّى «وَهْدَانَ»، يَنْظُـرُ فِي اللَّوْحَةِ وَيُقَدِّرُ ثَمَنَهَا، وَيَعْرِضُهَا فِي الْيَوْمِ نَفْسِهِ عَلَى الْأَمِيرِ.

وَهُنَا صَاحَ الزَّعِيمُ: إِذَنْ تَرْسُمُ أَكْثَرَ مِنْ لَوْحَةٍ.

قَالَ أَحَدُ اللُّصُوصِ: لَا.. بَلْ يَرْسُمُ وَاحِدَةً فَقَطْ، وَنُجَرِّبُ.

وَسَـــأَلَهُ الزَّعِيمُ مَرَّةً أُخْـــرَى: وَهَلْ تَعْـــرِفُ قَصْرَ هَذَا الْأَمِيرِ؟



قَالَ «إِسْمَاعِيلُ»: نَعَمْ أَعْرِفُهُ.

قَالَ الزَّعِيمُ: إِذَنْ عَلَيْكَ الرَّسْمُ، وَعَلَيْنَا التَّجْرِبَةُ.

وَظَلَّ يُفَكِّرُ «إِسْمَاعِيلُ».. مَاذَا يَرْسُمُ.. وَهَدَاهُ عَقْلُهُ أَنْ يَرْسُمَ لَوْحَةَ بُسْتَانِ قَصْرِ أَبِيهِ وَيُوَقِّعُ عَلَيْهَا بِاسْمِهِ.

وَبِالْفِعْلِ أَتَمَّ «إِسْمَاعِيلُ» اللَّوْحَةَ، ثُمَّ سَارَ اللُّصُوصُ مَعَهُ حَتَّى اقْتَرَبُوا مِنْ قَصْرِ أَبِيهِ، فَأَشَارَ إِلَى الْقَصْرِ مِنْ بَعِيدٍ.

فَقَالَ الزَّعِيمُ: سَتَبْقَى أَنْتَ يَا «إِسْمَاعِيلُ» هُنَا وَمَعَكَ أَحَدُنَا، وَسَأَذْهَبُ مَعَ صَدِيقِي الْآخَرِ إِلَى الْقَصْرِ لِأَلْقَى الْحَكِيمَ «وَهْدَانَ»، وَسَوْفَ نَرَى مَا يَحْدُثُ.

وَكَانَ الْأَمِيرُ وَالْأَعْوَانُ قَدْ أَحَسُّوا بِغِيَابِ «إِسْمَاعِيلَ» مُنْذُ أَيَّامٍ، وَبَحَثُوا عَنْهُ وَأَرْسَلُوا الْجُنُودَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَكِنَّهُمْ عَادُوا بِالْخَيْبَةِ وَالْحَسْرَةِ.

وَدَخَلَ الْحَارِسُ عَلَى الْحَكِيمِ لِيُخْبِرَهُ بِأَنَّ بِالْبَابِ رَجُلَيْنِ وَمَعَهُمَا لَوْحَةٌ يُرِيدَانِ بَيْعَهَا.

وَأَحَسَّ الْحَكِيمُ أَنَّ بِالْأَمْرِ شَيْئًا فَاسْتَقْبَلَ اللِّصَّيْنِ، وَنَظَرَ إِلَى اللَّوْحَةِ وَقَرَأَ تَوْقِيعَ «إِسْمَاعِيلَ» عَلَيْهَا.. فَتَظَاهَرَ بِالْحِكْمَةِ وَقَالَ:

- مَنْ «إِسْمَاعِيلُ» هَذَا؟

قَالَ زَعِيمُ اللُّصُوصِ:

- إِنَّهُ رَسَّامُ اللَّوْحَةِ، لَا نَعْرِفُ عَنْهُ شَيْئًا، أَعْطَيْنَاهُ ثَمَنَ اللَّوْحَةِ وَجِئْنَا بِهَا إِلَيْكَ لَعَلَّهَا تُعْجِبُكَ وَتُقَدِّرُ لَهَا ثَمَنًا مَعْقُولًا.

قَالَ الْحَكِيمُ:

- إِنَّهَا تُعْجِبُنِي فِعْلًا.. وَتُقَدَّرُ بِثَمَنٍ كَبِيرٍ، يُمْكِنُنِي أَنْ أَدْفَعَ فِيهَا أَلْفَيْ دِينَارٍ بِشَرْطِ أَنْ يَجِيءَ هُنَا الرَّسَّامُ بِنَفْسِهِ لِأَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ صَاحِبُهَا وَلِيَخْتَارَ مَكَانَ تَعْلِيقِهَا فِي الْقَصْرِ، وَلِنُكَلِّفَهُ بِرُسُومٍ أُخْرَى.

فَرِحَ اللِّصَّانِ بِمَا قَالَهُ الْحَكِيمُ، وَذَهَبَ أَحَدُهُمَا لِيُحْضِرَ «إِسْمَاعِيلَ» وَاللِّصَّ الثَّالِثَ.

وَعَادَ «إِسْمَاعِيلُ» بِهَذِهِ الْحِيلَةِ إِلَى أَبِيهِ وَقَصْرِهِ، وَقُبِضَ عَلَى اللُّصُوصِ وَأُودِعُوا السِّجْنَ!

وَبِهَذَا تَمَكَّنَ «إِسْمَاعِيلُ» بِعَقْلِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْ هَذِهِ الْمِحْنَةِ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهِ، وَعَادَ سَالِمًا إِلَى مَدِينَتِهِ.

وَصَدَقَ قَوْلُهُمْ: سَعَةُ الْحِيلَةِ لَا تَعْدِمُ الْوَسِيلَةَ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَنْ قَادَهُ الْعَقْلُ.. انْتَصَرَ عَلَى الْجَهْلِ.

احْذَرْ.. تَسْلَمْ.

الْحَاجَةُ تُفَتِّقُ الْحِيلَةَ.



شِيمَةُ الْكِرَامِ الْجُودُ
وَشِيمَةُ اللِّئَامِ الْجُحُودُ

يُضْرَبُ لِلْكَرِيمِ الَّذِي يَبْذُلُ مَا عِنْدَهُ،
وَلِلَّئِيمِ الَّذِي يُمْسِكُ عَلَى مَا عِنْدَهُ وَيَتَمَلَّكُهُ الْجُحُودُ.

حِينَمَا نَتَنَاوَلُ حِكَايَةَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ الْعَرَبِيِّ.. فَنَحْنُ أَمَامَ مَثَلٍ مِنْ أَمْثَالِهِ، رَسَخَ اسْمُهُ فِي الْوِجْدَانِ الْعَرَبِيِّ، وَعَاشَ فِي الذَّاكِرَةِ بِلَا ضَيَاعٍ.. ذَلِكَ هُوَ «حَاتِمٌ الطَّائِيُّ» الَّذِي لَمْ يَجِدِ التَّارِيخُ أَجْوَدَ مِنْهُ حَتَّى أَصْبَحَ مَضْرِبَ الْأَمْثَالِ.

وَكَانَ «حَاتِمٌ» كَرِيمًا شُجَاعًا شَاعِرًا، إِذَا قَاتَلَ غَلَبَ، وَإِذَا غَنِمَ نَهَبَ، وَإِذَا سَابَقَ سَبَقَ، وَإِذَا أَسَرَ عَفَا، وَإِذَا اغْتَنَى أَنْفَقَ، وَكَانَ أَقْسَمَ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَقْتُلَ مَنْ كَانَ وَحِيدَ أُمِّهِ.

وَلِـ «حَاتِمٍ» نَوَادِرُ كَثِيرَةٌ فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ.. إِلَيْكَ وَاحِدَةً مِنْهَا:

سَمِعَ أَحَدُ الْمُلُوكِ عَنْ جُودِ «حَاتِمٍ» وَكَرَمِهِ.. فَجَمَعَ أَعْوَانَهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَخْبِرُونِي عَنْ هَذَا الْعَرَبِيِّ الَّذِي ذَاعَتْ شُهْرَتُهُ جُودًا وَكَرَمًا.

قَالُوا: لَمْ نَعْرِفْ أَكْرَمَ مِنْهُ عِنْدَ الْعَرَبِ.

سَأَلَهُمْ: أَلَهُ قَصْرٌ مِثْلِي؟

قَالُوا: لَا.. إِنَّهُ يَسْكُنُ الْخِيَامَ.

سَأَلَهُمْ: أَلَهُ خَزَائِنُ وَأَعْوَانٌ؟

قَالُوا: لَا.

انْدَهَشَ وَقَالَ: كَيْفَ إِذَنْ يُصْبِحُ أَكْرَمَ الْعَرَبِ؟!

قَالَ أَحَدُ الْأَعْوَانِ: عَفْوًا يَا مَوْلَايَ، إِنَّهُ يَجُودُ بِمَا مَلَكَتْ يَدَاهُ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ عِنْدَهُ إِلَّا جَادَ بِهِ.

فَاشْتَاطَ الْمَلِكُ غَضَبًا، وَاخْتَلَى بِوَاحِدٍ مِنْ خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّ «حَاتِمًا» هَذَا يَمْلِكُ فَرَسًا سَوْدَاءَ اللَّوْنِ مِنْ أَجْوَدِ خَيْلِ الْعَرَبِ، وَهِيَ أَعَزُّ عِنْدَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ، وَأُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَخْتَبِرَ جُودَهُ الْمَزْعُومَ.. فَتَذْهَبَ إِلَيْهِ وَتُبْلِغَهُ بِرَغْبَتِي فِي هَذِهِ الْفَرَسِ السَّوْدَاءِ!

فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ بَاحِثًا عَــــنْ «حَاتِمٍ»، وَدَخَلَ قَبِيلَةَ طَيِّءٍ، فَالْتَقَى «حَاتِمًا» وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ الْمَقْصُودُ، فَشَكَا لَهُ الْجُوعَ وَالْإِرْهَاقَ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي بَيْتِ «حَاتِمٍ» شَيْءٌ يَذْبَحُهُ؛ فَالْإِبِلُ وَالْأَغْنَامُ فِي الْمَرْعَى الْبَعِيدِ، وَلَيْسَ فِي بَيْتِهِ غَيْرُ فَرَسِهِ السَّوْدَاءِ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ.

وَيَقُومُ «حَاتِمٌ»، وَيَذْبَحُ الْفَرَسَ، وَيُقَدِّمُ لِلرَّجُلِ طَعَامَهُ!!

قَالَ الرَّجُلُ لِـ «حَاتِمٍ»: إِنَّنِي أَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ اسْمُهُ «حَاتِمٌ»!!

قَالَ «حَاتِمٌ»: وَمَاذَا تُرِيدُ مِنْهُ؟

قَالَ: أَرْسَلَنِي سَيِّدِي الْمَلِكُ لِأَطْلُبَ مِنْهُ فَرَسَهُ السَّوْدَاءَ الَّتِي هِيَ لَدَيْهِ أَعَزُّ مِنْ نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ!!



قَـــالَ «حَاتِمٌ»: وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ قُلْتَ لِي قَبْلَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ لَفَعَلْتُ؛ لِأَنَّنِي ذَبَحْتُهَا لَكَ الْآنَ، وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِنْهَا.

وَدُهِـــشَ الرَّجُلُ، وَعَادَ إِلَى الْمَلِكِ يَحْكِي لَهُ مَا حَـــدَثَ، وَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ وَازْدَادَ حِقْدًا وَحَسَدًا عَلَى «حَاتِمٍ»!!

وَاسْتَدْعَى الْمَلِكُ أَحَدَ فُرْسَانِهِ الْأَشِدَّاءِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَذْهَبَ عَلَى الْفَوْرِ وَيَأْتِيَ بِهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا؛ لِيَسْجُنَهُ بِنَفْسِهِ وَيُعَذِّبَهُ، لِيَكُونَ هُوَ أَجْوَدَ مِنْ هَذَا الْعَرَبِيِّ الْفَقِيرِ!

وَيَلْتَقِي الْفَارِسُ «حَاتِمًا» وَهُوَ لَا يَعْرِفُهُ أَيْضًا فَيُكْرِمُهُ وَيَأْوِيهِ.

وَيَسْـــأَلُهُ «حَاتِمٌ» عَنْ مَقْصَدِهِ فَيَقُولُ الْفَارِسُ: لَقَدْ أَمَرَنِي الْمَلِكُ أَنْ أَبْحَثَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ عَرَبِيٍّ يُسَمَّى «حَاتِمًا».. قَالُوا عَنْهُ إِنَّهُ أَجْوَدُ الْعَرَبِ.

وَسَأَلَهُ «حَاتِمٌ»: لِمَاذَا تَبْحَثُ عَنْهُ يَا أَخِي؟

قَالَ الْفَارِسُ: لَقَدْ كَبُرَ عِنْدَ الْمَلِكِ أَنْ يَكُونَ «حَاتِمٌ» هَذَا أَجْوَدَ مِنْهُ، وَلَا يَذْكُرُ النَّاسُ جُودَ الْمَلِكِ، وَلِهَذَا أَرْسَلَنِي لِلْبَحْثِ عَنْهُ وَالْعَوْدِ بِهِ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَسْجُنَهُ وَيُعَذِّبَهُ، حَتَّى يَسْكُتَ عَنْهُ النَّاسُ، وَيَذْكُرُوا لِلْمَلِكِ وَحْدَهُ جُودَهُ وَكَرَمَهُ.

قَالَ «حَاتِمٌ»: وَإِذَا أَرْشَدْتُكَ إِلَى «حَاتِمٍ» هَذَا؟

قَالَ الْفَارِسُ: لَكَ مَا شِئْتَ مِنَ الْمَالِ.

قَالَ «حَاتِمٌ»: وَإِذَا عُدْتَ بِدُونِهِ إِلَى سَيِّدِكَ؟

قَالَ الْفَارِسُ: إِنَّهَا الْمُصِيبَةُ الْكُبْرَى يَا أَخِي.

ضَحِكَ «حَاتِمٌ» مِنْ قَلْبِهِ وَقَالَ لَهُ: إِذَنْ أَنَا «حَاتِمٌ الطَّائِيُّ» الَّذِي تَبْحَثُ عَنْهُ.. خُذْنِي إِلَى سَيِّدِكَ.

وَانْدَهَشَ الْفَارِسُ.. لَكِنْ قَطَعَتْ دَهْشَـــتَهُ تِلْكَ صَيْحَةُ امْرَأَةٍ فِي الْخَارِجِ تُرَدِّدُ اسْمَهُ: يَا «حَاتِمُ».. يَا «حَاتِمُ».

وَيُلَبِّـــي «حَاتِمٌ» نِدَاءَ الْمَرْأَةِ.. لَقَدْ جَاءَتْهُ هَذِهِ الْمَـــرْأَةُ، وَقَدْ تَرَكَتْ فِي بَيْتِهَا أَطْفَالًا يَبْكُونَ مِنَ الْجُوعِ.

فَالْتَفَتَ «حَاتِـــمٌ» إِلَى الْفَارِسِ وَقَالَ لَهُ: ائْذَنْ لِي يَا صَاحِبِي.. لَنْ أَغِيبَ عَنْكَ طَوِيلًا، وَسَوْفَ أَذْهَبُ مَعَكَ إِلَى سَيِّدِكَ الْمَلِكِ.

وَخَجِلَ الْفَارِسُ مِنْ نَفْسِهِ، فَقَامَ وَعَانَقَهُ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يُسَامِحَهُ، وَانْصَرَفَ الْفَارِسُ عَائِدًا إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ.

أَمَّا «حَاتِمٌ» فَقَدْ كَانَ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ وَجَارُهُ يَشْكُو الْجُوعَ، وَلَا يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ وَغَيْرُهُ يَبِيتُ فِي الْعَرَاءِ.

وَيَقُولُ الْعَرَبُ: إِنَّ «حَاتِمًا» أَخَذَ الْجُودَ عَنْ أُمِّهِ الَّتِي كَانَتْ لَا تُبْقِي شَيْئًا سَخَاءً وَجُودًا.

حَقًّا: شِيمَةُ الْكِرَامِ الْجُودُ.. وَشِيمَةُ اللِّئَامِ الْجُحُودُ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْجُودُ مَحَبَّةٌ، وَالْبُخْلُ مَبْغَضَةٌ.

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ.. هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ.

الْكَرِيمُ كَرِيمُ النَّفْسِ.



أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ

يُضْرَبُ فِي حِدَّةِ الْبَصَرِ وَكَشْفِ الْمَسْتُورِ.

كَانَتِ الْقَبَائِلُ الْعَرَبِيَّةُ قَدِيمًا تَتَّخِذُ أَسْـــمَاءً تُمَيِّزُ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ، وَتَتَّخِذُ حُدُودًا تَفْصِلُهَا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَبَائِلِ، لَكِنَّهَا مَعَ هَـــذَا كَانَتْ دَائِمَةَ الصِّرَاعِ مِنْ أَجْلِ الْغِذَاءِ وَالْحَيَاةِ.

وَفِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَاشَـــتْ قَبِيلَةٌ تُسَمَّى «طَسْـــمًا» فِي مِنْطَقَةٍ يُقَالُ لَهَا «الْيَمَامَةُ»، وَقَرَّرَ شَـــيْخُ الْقَبِيلَةِ أَنْ يَجْتَمِعَ بِأَعْوَانِهِ لِيَبْحَثَ مَعَهُمْ إِقَامَةَ سُوقٍ كُلَّ عَامٍ يَبِيعُونَ فِيهَا وَيَشْتَرُونَ، وَحِينَهَا دَخَلَتْ عَلَى شَـــيْخِ الْقَبِيلَةِ ابْنَتُهُ الْحَسْنَاءُ «زَرْقَاءُ».. وَهِيَ صَبِيَّةٌ تَتَمَيَّزُ بِالذَّكَاءِ وَحُبِّ النَّاسِ وَالتَّفْكِيرِ السَّلِيمِ.

وَيُخْبِرُهَا أَبُوهَا الشَّيْخُ بِفِكْرَةِ السُّوقِ، فَتُرَحِّبُ بِهَا «زَرْقَاءُ»، وَتَعْرِضُ عَلَى أَبِيهَا أَنْ تَقُودَ بَنَاتِ الْقَبِيلَةِ لِخِدْمَةِ ضُيُوفِ السُّوقِ.

وَكَانَتْ «زَرْقَاءُ» تُحِبُّ أَنْ تَخْرُجَ قَبْلَ مَغِيبِ الشَّمْسِ مَعَ صَدِيقَاتٍ لَهَا وَتَصْعَدَ الرُّبَا الْعَالِيَةَ، وَتَتَأَمَّلَ سِحْرَ الْعَالَمِ، وَتَحْمَدَ اللَّهَ عَلَى عَطَائِهِ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ أَخْبَرَتْهَا صَدِيقَةٌ لَهَا أَنَّ سَـــبْعَةَ جِمَالٍ تَاهَتْ فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَا يَعْرِفُونَ أَيْنَ ذَهَبَتْ؛ فَقَدْ كَانَتِ الْجِمَالُ تَشْـــرَبُ مِنَ النَّبْعِ، فَشَرَدَتْ عَنِ الطَّرِيقِ، وَتَغَافَلَ عَنْهَا مَنْ يَقُودُهَا.

وَصَعِدَتْ «زَرْقَاءُ» فَوْقَ رَبْوَةٍ عَالِيَةٍ وَمَعَهَا صَدِيقَتُهَا، وَأَخَذَتْ تَنْظُرُ هُنَا وَهُنَاكَ.

وَسَأَلَتْهَا صَدِيقَتُهَا: مَاذَا تَفْعَلِينَ يَا «زَرْقَاءُ»؟

قَالَتْ «زَرْقَاءُ»: أَبْحَثُ عَنِ الْجِمَالِ التَّائِهَةِ.

ضَحِكَتْ صَدِيقَتُهَا سَاخِرَةً وَقَالَتْ: تَبْحَثِينَ عَنِ الْجِمَالِ التَّائِهَةِ بِالْعَيْنِ!! وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ تَنْظُرِي بِعَيْنَيْكِ عَلَى مَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ يَا «زَرْقَاءُ»؟!

لَمْ تَرُدَّ عَلَيْهَا «زَرْقَاءُ».. بَلِ انْشَغَلَتْ بِالنَّظَرِ هُنَا وَهُنَاكَ حَتَّى صَاحَتْ: إِنَّهَا هِيَ وَاللَّهِ، عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ.

قَالَتْ صَدِيقَتُهَا فِي خَوْفٍ: جُنَّتْ «زَرْقَاءُ».. لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

قَالَتْ «زَرْقَاءُ»: إِنَّهَا تَرْعَى بِالْقُرْبِ مِنْ عَشْرِ خِيَامٍ.

وَانْطَلَقَتْ «زَرْقَاءُ» إِلَى أَبِيهَا شَيْخِ الْقَبِيلَةِ لِتُخْبِرَهُ بِالْأَمْرِ، وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يُرْسِلَ مَنْ يَأْتِي بِهَا، وَيُشْفِقُ عَلَيْهَا أَبُوهَا وَيَطْلُبُ مِنْ أُمِّهَا أَنْ تُعْطِيَهَا شَرَابًا مِنَ الْأَعْشَابِ يُهَدِّئُهَا. ثُمَّ قَالَ لِابْنَتِهِ: عَلَى كُلٍّ أَنتِ تَقُولِينَ إِنَّهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ.. سَوْفَ نَنْتَظِرُ يَوْمَيْنِ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ جِمَالَنَا فَسَوْفَ يَسُوقُونَهَا إِلَيْنَا؛ لِأَنَّ الْجِمَالَ عَلَيْهَا عَلَامَةُ قَبِيلَتِنَا.. اطْمَئِنِّي أَنْتِ يَا ابْنَتِي.

وَتَصِلُ الْجِمَالُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَمَعَهَا رَجُلٌ غَرِيبٌ يَسُوقُهَا، وَيَسْأَلُ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ عَنْ تَفَاصِيلِ مَا حَدَثَ، فَيُخْبِرُهُ أَنَّ الْجِمَالَ كَانَتْ تَرْعَى حَوْلَ خِيَامٍ عَشْرٍ؛ وَلِأَنَّ عَلَيْهَا عَلَامَةُ قَبِيلَتِكُمْ أَتَيْنَا بِهَا إِلَيْكُمْ. فَكَافَأَهُ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ عَلَى مَا فَعَلَ.



وَخَشِـــيَ الْأَبُ أَنْ يُعْلِنَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ قُدْرَةِ «زَرْقَاءَ» عَلَى النَّظَرِ وَاخْتِرَاقِ الْحُجُبِ هَكَذَا.

فَأَمَـــرَ رَجُلًا مِنْ أَعْوَانِهِ أَنْ يَصْحَبَ الرَّجُلَ الْغَرِيـــبَ إِلَى قَبِيلَتِهِ، ثُمَّ يَقِفُ عَلَى رَبْوَةٍ عَالِيَةٍ بِالْقُرْبِ مِنْ خِيَامِهِمُ الْعَشْرِ، وَيُمْسِكُ بِيَدِهِ غُصْنًا لَهُ فُرُوعٌ.

وَيَفْعَلُ الرَّجُلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ شَـــيْخُ الْقَبِيلَةِ. وَدَعَا الشَّـــيْخُ ابْنَتَهُ «زَرْقَاءَ» إِلَى النَّظَرِ وَاكْتِشَافِ أَيَّةِ عَلَامَةٍ غَرِيبَةٍ تَلُوحُ عَلَى الْمَدَى.

وَتُخْبِرُ «زَرْقَاءُ» أَبَاهَا بِأَنَّهَا تَرَى خِيَامًا عَشْرًا، وَرَبْوَةً عَالِيَةً، وَرَجُلًا يَرْفَعُ يَدَهُ بِفَرْعِ شَجَرَةٍ كَثِيرِ الْغُصُونِ.

وَأَخَذَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ يَصِيحُ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى حَيْثُ كَانَ هُوَ وَابْنَتُهُ، وَأَخْبَرَهُمْ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَأَخَذَ النَّاسُ يُغَنُّونَ لِـ «زَرْقَاءَ» وَيَسْعَدُونَ بِهَا.

وَأَخَذَتْ «زَرْقَاءُ» تَدُلُّ قَوْمَهَا عَلَى مَنَابِعِ الْمِيَاهِ وَعَلَى مَوَاقِعِ الْعُشْبِ وَالرَّعْيِ.. إِلَى أَنْ جَاءَ يَوْمٌ صَعِدَتْ فِيهِ «زَرْقَاءُ» إِلَى رَبْوَتِهَا فَرَأَتْ عَجَبًا...

وَأَسْرَعَتْ إِلَى أَبِيهَا شَيْخِ الْقَبِيلَةِ وَهِيَ تَصِيحُ: يَا أَبَتِ أَرَى أَشْجَارًا تَتَحَرَّكُ فِي اتِّجَاهِنَا مِنَ الشَّمَالِ، وَهِيَ تُخْفِي وَرَاءَهَا جَيْشًا مِنَ الْفُرْسَانِ، كُلٌّ مِنْهُمْ يَحْمِلُ شُجَيْرَةً يَسْتَتِرُ بِهَا حَتَّى لَا يُرَى عَلَى الْبُعْدِ.. إِنَّ أَمَامَنَا أَيَّامًا قَلِيلَةً، فَلْنَسْتَعِدَّ فِيهَا لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْجَيْشِ.

وَكَانُوا عَلَى مَسِيرَةِ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، فَجَعَلَتْ قَوْمَهَا يَسْتَعِدُّونَ لِمُوَاجَهَةِ أَعْدَائِهِمْ وَالدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَالِانْتِصَارِ عَلَيْهِمْ.



وَضَرَبَ الْعَرَبُ بِزَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ الْمَثَلَ في حِدَّةِ الْبَصَرِ وَكَشْفِ الْمَسْتُورِ.. وَتُرْوَى عَنْهَا قِصَصٌ كَثِيرَةٌ، هُنَاكَ مَنْ يُصَدِّقُهَا وَهُنَاكَ مَنْ يُكَذِّبُهَا، وَكَيْفَ أَنَّ أَعْدَاءَ قَبِيلَتِهَا قَبَضُوا عَلَيْهَا وَشَقُّوا عَيْنَيْهَا، فَإِذَا فِيهِمَا عُرُوقٌ سُودٌ لَا تُوجَدُ في غَيْرِهِمَا.. وَبِهَذَا تُرْوَى حَوْلَهَا أَسَاطِيرُ كَثِيرَةٌ، وَضُرِبَ بِهَا الْمَثَلُ:

أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ الْيَمَامَةِ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

أَبْصَرُ مِنْ عُقَابٍ، وَمِنْ نَسْرٍ.

أَبْصَرُ مِنَ الْوَطْوَاطِ في اللَّيْلِ.

رُبَّ بَعِيدٍ يُرَى مِنْ قَرِيبٍ.



عَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلٍ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَّخِذُ مِنْ عَدُوِّهِ صَدِيقًا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ.. وَلَا يَضُرُّهُ عَدَاوُهُ وَيَتَّخِذُ مِنَ الْجَاهِلِ صَدِيقًا يُسِيءُ إِلَيْهِ بِجَهْلِهِ وَيَضُرُّهُ مِنْ حَيْثُ يُرِيدُ نَفْعَهُ.

كَانَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى سَفَرٍ، فَمَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِغَابَةٍ مُوحِشَةٍ سَمِعَ فِيهَا صَوْتَ دُبٍّ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ فَوَجَدَهُ مَرْبُوطًا فِي جِذْعِ شَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ، وَكَانَ الدُّبُّ جَائِعًا ظَمْآنَ.. فَاقْتَرَبَ مِنْهُ الرَّجُلُ، وَحَلَّ عَنْهُ وِثَاقَهُ، ثُمَّ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ.

وَأَحَسَّ الدُّبُّ بِمَا فَعَلَهُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَجْلِهِ مِنْ مَعْرُوفٍ وَإِحْسَانٍ، وَكَيْفَ أَنَّهُ أَنْقَذَ حَيَاتَهُ وَأَعَادَ إِلَيْهِ قُوَاهُ، فَلَازَمَهُ مُلَازَمَةَ الظِّلِّ، وَلَمْ يَتْرُكْهُ يُسَافِرُ وَحْدَهُ!!

وَسَارَ الرَّجُلُ وَالدُّبُّ، وَقَدْ تَوَثَّقَتْ بَيْنَهُمَا الصَّدَاقَةُ وَالْمَوَدَّةُ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى أَحَدِ الْبَسَاتِينِ، فَأَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ.

وَاسْتَلْقَى الدُّبُّ إِلَى جَانِبِ الرَّجُلِ يَحْرُسُهُ.

فَأَخَذَتْ ذُبَابَةٌ تَطِنُّ فَوْقَ وَجْهِ الرَّجُلِ تُرِيدُ أَنْ تَسْتَقِرَّ عَلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ نَائِمٌ.

فَحَاوَلَ الدُّبُّ إِبْعَادَهَا، لَكِنَّهَا كَانَتْ ذُبَابَةً عَنِيدَةً.

فَالْتَفَتَ الدُّبُّ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ يُبْعِدُ بِهِ الذُّبَابَةَ عَنْ وَجْهِ الرَّجُلِ، فَوَجَدَ حَجَرًا كَبِيرًا، فَقَامَ مِنْ مَكَانِـــهِ، وَحَمَلَ الْحَجَرَ الْكَبِيرَ بِيَدَيْهِ، وَهَوَى بِهِ عَلَى وَجْهِ الرَّجُلِ حَيْثُ كَانَتِ الذُّبَابَةُ، فَهَشَّـــمَ الْحَجَرُ رَأْسَ الرَّجُلِ وَمَاتَ مِنْ فَوْرِهِ.. فِي حِين طَارَتِ الذُّبَابَةُ قَبْلَ أَنْ يَلْمَسَهَا الْحَجَرُ!!

فَكَانَ حَقًّا قَوْلُهُمْ:

عَدُوٌّ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقٍ جَاهِلٍ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مِنْ عَلَامَةِ الْخِذْلَانِ.. مُفَاسَدَةُ الْإِخْوَانِ.

لَا تَثِقْ بِالصَّدِيقِ قَبْلَ الْخِبْرَةِ.. وَلَا تُوقِعْ بِالْعَدُوِّ قَبْلَ الْقُدْرَةِ.

مَكْرُوهٌ تَحْلُو ثَمَرَتُهُ.. خَيْرٌ مِنْ مَحْبُوبٍ تَمَرُّ مَعِيَّتُهُ.



قُلِ الْحَقَّ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ

يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَقُولُ الْحَقَّ وَلَوْ كَانَ فِي غَيْرِ صَالِحِهِ..
فَإِنَّ اللَّهَ يُكَافِئُهُ عَلَى صِدْقِهِ وَصَرَاحَتِهِ..

كَانَ يَعِيشُ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ رَجُلٌ يَعْمَلُ بِتِجَارَةِ الْأَقْمِشَةِ يُسَمَّى «حَسَّانَ»، وَكَانَ النَّاسُ يَعْرِفُونَهُ بِالتَّاجِرِ الْأَمِينِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْتَفِي بِرِبْحٍ قَلِيلٍ، وَكَانَ يَعْرِضُ بِضَاعَتَهُ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ، فَيُظْهِرُ مَا فِيهَا مِنْ عَيْبٍ إِنْ وُجِدَ وَيَبِيعُهَا بِنَفْسٍ سَمْحَةٍ.

وَكَانَ «حَسَّانُ» أَيْضًا يَعْطِفُ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيُخْرِجُ زَكَاتَهُ كُلَّ عَامٍ.

وَيُبَارِكُ اللَّهُ فِي تِجَارَةِ «حَسَّانَ»، وَيُقْبِلُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِيَشْتَرُوا مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ.

وَكَانَ التُّجَّارُ فِي السُّوقِ يَغْضَبُونَ مِنْ «حَسَّانَ» وَمِنْ أَمَانَتِهِ، لَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئًا، فَهَذَا رِزْقٌ قَدْ قَسَّمَهُ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَاقَبَ اللَّهَ فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ خَانَ وَكَذَبَ فَعَاقَبَهُ اللَّهُ فِي رِزْقِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ قَالَتْ زَوْجَةُ «حَسَّانَ» لَهُ: إِنَّ وَلَدَنَا «يَاسِرَ» يُمْكِنُهُ الْآنَ أَنْ يُسَاعِدَكَ فِي عَمَلِكَ.. فَمَاذَا تَرَى؟ وَأَنْتَ قَدْ رَبَّيْتَهُ عَلَى الْقِيَمِ وَالْخُلُقِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْسِ، وَآنَ الْأَوَانُ أَنْ يَرُدَّ بَعْضَ هَذَا الدَّيْنِ.

فَوَافَقَ «حَسَّانُ»، وَاسْتَدْعَى وَلَدَهُ «يَاسِرَ» وَقَالَ لَهُ: إِنَّ أُمَّكَ حَدَّثَتْنِي فِي أَمْرِكَ وَأَنَا سَعِيدٌ بِكَ، وَسَوْفَ نُقَسِّمُ الْعَمَلَ بَيْنَنَا فِي الْأُسْبُوعِ: نِصْفُ الْأَيَّامِ لِي، وَنِصْفُهَا لَكَ.

فَسَعِدَ «يَاسِرُ» بِمُوَافَقَةِ أَبِيهِ.. وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ وَيُقَبِّلُ أُمَّهُ.

ثُمَّ قَالَ «حَسَّانُ» لِوَلَدِهِ: سَأُعَلِّمُكَ يَا وَلَدِي ثَلَاثَةَ أُمُورٍ أَرْجُو أَلَّا تَنْسَاهَا حَتَّى تُصْبِحَ تَاجِرًا شَرِيفًا.



قَالَ الِابْنُ فِي لَهْفَةٍ: مَا هِيَ يَا أَبَتِ؟

قَالَ «حَسَّانُ»: الْأَمْرُ الْأَوَّلُ يَا وَلَدِي أَنْ تَكُونَ أَمِينًا مَعَ الْمُشْتَرِي فِي الثَّمَنِ وَالْبِضَاعَةِ، أَيْ تَعْرِضُ عَلَيْهِ الثَّمَنَ الْمُحَدَّدَ، وَالْبِضَاعَةَ بِكُلِّ مَزَايَاهَا وَعُيُوبِهَا.

فَقَالَ «يَاسِرُ»: لَكِنَّ تُجَّارَ السُّوقِ جَمِيعًا لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ يَا أَبَتِ.

فَقَالَ التَّاجِرُ: يَا وَلَدِي.. مَا لَنَا وَلِلتُّجَّارِ الْآخَرِينَ، إِنَّ اللَّهَ يُرَاقِبُ الْجَمِيعَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِنَا.

ثُمَّ قَالَ الْأَبُ لِوَلَدِهِ: أَمَّا الْأَمْرُ الثَّانِي يَا بُنَيَّ فَهُوَ أَنْ تَكُونَ صَادِقًا فِي الْقَوْلِ وَالْوَعْدِ.. إِذَا وَعَدْتَ أَحَدًا بِشَيْءٍ فَعَلَيْكَ أَنْ تَفِيَ بِهِ دُونَ إِبْطَاءٍ.

وَأَمَّا الْأَمْرُ الثَّالِثُ فَهُوَ الْجِدُّ فِي الْعَمَلِ؛ فَالْكَسُولُ يَا وَلَدِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نَاجِحًا.

ثُمَّ قَالَ الرَّجُلُ لِوَلَدِهِ: وَلَكَ نَصِيحَةٌ أُخْرَى لَا تَنْسَاهَا، إِنَّ أَبَاكَ ذُو سُمْعَةٍ طَيِّبَةٍ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُحَافِظَ عَلَيْهَا.

وَيَمْضِي الِابْنُ إِلَى دُكَّانِ أَبِيهِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ يَعُودُ فِي آخِرِ الْيَوْمِ بِحَصِيلَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْمَالِ يَضَعُهَا أَمَامَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، ثُمَّ يَقُصُّ عَلَيْهِمَا مَا حَدَثَ طَوَالَ الْيَوْمِ.

وَمِنْ بَيْنِ حَدِيثِهِ قَالَ: لَقَدْ فَعَلْتُ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنَ الْبَيْعِ يَا أَبَتِ، لَقَدْ بِعْتُ الثَّوْبَ الْأَزْرَقَ الْقَدِيمَ لِأَحَدِ الْمُشْتَرِينَ الْغُرَبَاءِ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَارًا.

فَسَأَلَهُ وَالِدُهُ: حَسَنًا فَعَلْتَ يَا وَلَدِي، لَكِنْ هَلْ أَظْهَرْتَ لِلْمُشْتَرِي مَا يَعِيبُ هَذَا الثَّوْبَ؟!

قَالَ الِابْنُ: لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ يَا أَبَتِ.. حَتَّى لَا يُطَالِبَنِي الْمُشْتَرِي بِخَفْضِ ثَمَنِهِ.

وَهُنَا ثَارَ الْأَبُ وَاتَّهَمَ وَلَدَهُ بِالْخِيَانَةِ وَالْخِدَاعِ، وَسَأَلَهُ أَيْنَ يَبِيتُ هَذَا الرَّجُلُ؟

فَقَالَ الِابْنُ: لَقَدْ قَالَ لِي إِنَّهُ يَنْزِلُ فِي النَّاحِيَةِ الْقَدِيمَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

فَأَسْرَعَ «حَسَّانُ» وَوَلَدُهُ إِلَى حَيْثُ يَبِيتُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ.

وَقَالَ لَهُ «حَسَّانُ»: أَنَا وَالِدُ هَذَا الْفَتَى، وَقَدْ بَاعَكَ فِي الصَّبَاحِ ثَوْبًا أَزْرَقَ بِخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ دِينَارًا، وَأَنَا أَرْجُو أَنْ تُعِيدَ لَنَا الثَّوْبَ وَنَرُدَّ إِلَيْكَ مَالَكَ!!

فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ: لِمَاذَا يَا أَخِي؟! لَقَدْ أَعْجَبَنِي الثَّوْبُ وَوَجَدْتُ ثَمَنَهُ مُنَاسِبًا.

قَالَ «حَسَّانُ»: لَا يَا سَيِّدِي؛ إِنَّ بِالثَّوْبِ عَيْبًا لَمْ يُخْبِرْكَ بِهِ وَلَدِي، وَأَمَانَةُ التَّاجِرِ يَا سَيِّدِي تَفْرِضُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا أَمِينًا مَعَ زَبَائِنِهِ، وَابْنِي لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَأَنْتَ لَمْ تَرَ الْعَيْبَ، وَأَنَا أَخَافُ اللَّهَ وَأَخَافُ عَذَابَهُ.

وَهُنَا قَالَ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ: إِنَّكَ حَقًّا تَاجِرٌ أَمِينٌ، أَمَّا أَنَا فَقَدْ قَبِلْتُ الثَّوْبَ وَرَضِيتُ الثَّمَنَ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ.

قَالَ «حَسَّــانُ»: إِذَا قَبِلْتَ الثَّوْبَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَيَجِبُ أَنْ أَرُدَّ لَكَ مِنْ ثَمَنِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ دِينَارًا.

ضَحِكَ الرَّجُلُ وَرَبَّتَ كَتِفَ «حَسَّــانَ» وَهُوَ يَقُولُ: يَا شَيْخُ.. إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ، وَأَنَا أُحِبُّ الصَّادِقِينَ، فَلْيَكُنْ هَذَا الثَّمَــنُ تَقْدِيرًا لِأَمَانَتِكَ مَعِي وَلِصِدْقِكَ مَعَ اللَّهِ، وَأَنَا رَاضٍ بِهَذَا.

وَعَادَ «حَسَّــانُ» وَوَلَدُهُ إِلَى الْبَيْتِ، وَعَاهَدَ الْوَلَدُ أَبَاهُ عَلَى الصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ.. وَأَصْبَحَ الِابْنُ مِنْ أَكْثَرِ التُّجَّارِ أَمَانَةً وَصِدْقًا.

حَقًّا.. قُلِ الصِّدْقَ وَلَوْ عَلَى نَفْسِكَ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الصِّدْقُ طَرِيقُ النَّجَاحِ.

السَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ.

حَقٌّ يَضُرُّ.. خَيْرٌ مِنْ بَاطِلٍ يَسُرُّ.



رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ

يُضْرَبُ لِمَنْ يُصِيبُ وَلَمْ يَكُنْ يُتَوَقَّعُ مِنْهُ الْإِصَابَةُ.. وَيَنْجَحُ مَنْ يُرْجَى مِنْهُ الْإِخْفَاقُ.

حَدَثَ لِأَحَدِ أَشْـــرَافِ الْعَرَبِ أَنْ رَبِحَ فِي تِجَارَتِهِ، فَأَقْسَـــمَ أَنْ يَخْرُجَ لِيَصِيدَ بَقَرَةً وَحْشِيَّةً، يَذْبَحُهَا تَحْتَ أَقْدَامِ الْأَصْنَامِ، وَيَأْكُلُ مِنْهَا الْفُقَرَاءُ.

وَفِي الصَّبَاحِ تَهَيَّأَ لِلصَّيْدِ وَلَبِسَ عُدَّتَهُ وَامْتَطَى صَهْـــوَةَ جَوَادِهِ، لَكِنَّهُ قَضَى يَوْمَهُ كَامِلًا فِي الصَّحْرَاءِ، وَلَمْ يَصْطَدْ شَيْئًا، فَعَادَ كَئِيبًا حَزِينًا.

وَبَاتَ الرَّجُلُ لَيْلَتَهُ مَهْمُومًا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَلُومُ يَدَيْهِ وَيَتَّهِمُ نَفْسَهُ بِالْعَجْزِ وَالْإِخْفَاقِ، ثُمَّ أَخَذَ يُقَدِّرُ مَا سَـــوْفَ يَفْعَلُهُ بِهِ النَّاسُ وَقَدْ أَخْفَقَ فِي وَعْدِهِ وَلَمْ يَبَرَّ بِقَسَمِهِ، وَكَيْفَ سَيَسْخَرُ مِنْهُ أَعْدَاؤُهُ وَأَصْدِقَاؤُهُ.

وَفِي الصَّبَاحِ جَاءَهُ بَعْضُ أَصْدِقَائِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِإِخْفَاقِهِ وَعَزْمِهِ عَلَى قَتْلِ نَفْسِهِ لِعَجْزِهِ عَنْ أَنْ يَبَرَّ بِقَسَـــمِهِ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِذَبْحِ عَشَـــرَةٍ مِنَ الْإِبِلِ بَدَلًا مِنَ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَلَا يَقْتُلُ نَفْسَهُ، فَأَقْسَمَ الرَّجُلُ أَلَّا يَفْعَلَ هَذَا، وَعَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ لِلصَّيْدِ مَرَّةً أُخْرَى.



وَكَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ وَلَدٌ بَلَغَ مَرْحَلَةَ الصِّبَا وَتَعَلَّمَ الْفُرُوسِيَّةَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يُجِيدُ الرَّمْيَ، فَطَلَبَ الْوَلَدُ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَأْخُذَهُ مَعَهُ فِي رِحْلَتِهِ.

وَقَالَ لَهُ: خُذْنِي يَا أَبِي، فَرُبَّمَا أُصِيبُ الْبَقَرَةَ الْوَحْشِيَّةَ.

فَسَخِرَ مِنْهُ أَبُوهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ الرَّمْيَ، لَكِنَّ الْوَلَدَ أَلَحَّ عَلَى أَبِيهِ أَنْ يَأْخُذَهُ مَعَهُ حَتَّى وَافَقَ الْأَبُ.

وَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَوَلَدُهُ إِلَى الصَّحْرَاءِ، وَغَاصَا فِيهَا، فَإِذَا بِبَقَرَةٍ وَحْشِيَّةٍ تَسِيرُ، فَأَسْرَعَ الرَّجُلُ وَرَاءَهَا سَعِيدًا وَسَدَّدَ نَحْوَهَا سَهْمًا، لَكِنَّهُ أَخْطَأَهَا، ثُمَّ سَدَّدَ نَحْوَهَا ضَرْبَةً أُخْرَى، فَلَمْ تَنَلْ مِنْهَا شَيْئًا، فَانْزَعَجَ الرَّجُلُ وَثَارَ!!

وَهُنَا قَالَ لَهُ وَلَدُهُ: يَا أَبَتِ أَعْطِنِي الْقَوْسَ.

وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ أَصَابَهُ الْغَيْظُ وَالْيَأْسُ مَعًا، فَرَمَى الْقَوْسَ مِنْ يَدِهِ، فَالْتَقَطَهَا ابْنُهُ، وَسَدَّدَ مِنْهَا ضَرْبَةً إِلَى الْبَقَرَةِ، فَأَصَابَهَا فِي مَقْتَلٍ.

وَدُهِشَ الرَّجُلُ مِمَّا فَعَلَهُ وَلَدُهُ فَاحْتَضَنَهُ، وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ: رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ!

وَأَخَذَ الْعَرَبُ يُطْلِقُونَ هَذَا الْمَثَلَ عَلَى كُلِّ مَنْ لَا يَتَوَقَّعُونَ مِنْهُ الْإِصَابَةَ أَوِ النَّجَاحَ..

يَقُولُونَ: رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَعَ الْخَوَاطِئِ.. سَهْمٌ صَائِبٌ.

رُبَّ زَارِعٍ لِنَفْسِهِ.. حَاصِدٌ سِوَاهُ.

رُبَّ عَيِيٍّ صَامِتٍ.. خَيْرٌ مِنْ عَيِيٍّ نَاطِقٍ.



مِثْلُ جَزَاءِ سِنِمَّارَ

يُضْرَبُ لِمَنْ يُحْسِنُ عَمَلَهُ وَيُبَالِغُ فِي إِخْلَاصِهِ، فَيُقَابَلُ بِالْجُحُودِ وَبِجَزَاءٍ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ يُسِيءُ إِلَيْهِ وَيَحُطُّ مِنْ شَأْنِهِ.

لِهَذَا الْمَثَلِ قِصَّةٌ يَتَدَاوَلُهَا النَّاسُ حَدَثَتْ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِقَلِيلٍ؛ فَقَدْ كَانَ الْمُلُوكُ يُبَالِغُونَ فِي حَيَاةِ التَّرَفِ وَيَتَسَابَقُونَ فِي بِنَاءِ الْقُصُورِ وَالْمَظَاهِرِ الْفَاخِرَةِ.. وَعَدَدِ الْعَبِيدِ وَالْجَوَارِي.

وَكَانَ «النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ» مَلِكًا عَلَى الْحِيرَةِ، وَالْحِيرَةُ مَدِينَةٌ قَرِيبَةٌ مِنَ الْكُوفَةِ فِي الْعِرَاقِ. وَكَانَتْ هَذِهِ الْمِنْطَقَةُ تَابِعَةً لِبِلَادِ الْفُرْسِ الَّتِي يَحْكُمُهَا «كِسْرَى» وَهُوَ لَقَبٌ لِمَلِكِ الْفُرْسِ.

وَكَانَ «كِسْرَى» مَلِكُ الْفُرْسِ كُلَّمَا وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ مَاتَ وَهُوَ وَلِيدٌ، وَأَخَذَ يَسْتَشِيرُ الْحُكَمَاءَ فِي هَذَا الْأَمْرِ.. حَتَّى أَخْبَرُوهُ بِأَنَّ الْوَلَدَ الْقَادِمَ سَوْفَ يَعِيشُ، وَحِينَ وَضَعَتْ زَوْجَتُهُ الْوَلَدَ سَمَّاهُ «بُهْرَام»، وَفَضَّلَ أَنْ يَدَعَهُ عِنْدَ الْمَلِكِ «النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ» وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ قَصْرًا عَظِيمًا.

وَسَعِدَ «النُّعْمَانُ» بِطَلَبِ مَلِكِ الْفُرْسِ.. وَعَهِدَ بِالْوَلَدِ إِلَى مُرْضِعَةٍ ثُمَّ إِلَى مُرَبٍّ فَاضِلٍ، وَأَعْلَنَ فِي الْبِلَادِ عَنْ مُسَابَقَةٍ لِبِنَاءِ قَصْرٍ عَظِيمٍ لِـ «بُهْرَام».

وَتَقَدَّمَ مُهَنْدِسُونَ كَثِيرُونَ يَعْرِضُونَ عَلَيْهِ خَرَائِطَ الْبِنَاءِ حَتَّى اسْتَقَرَّ الرَّأْيُ عَلَى مُهَنْدِسٍ رُومِيِّ الْأَصْلِ اسْمُهُ «سِنِمَّار».

وَبَدَأَ الْبِنَاءُ.. وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ قَصْرُ (الْخَوَرْنَق)؛ لِيَجْعَلَهُ «النُّعْمَانُ» مَسْكَنًا لِابْنِ كِسْرَى.. وَكَانَ يَوْمُ افْتِتَاحِ هَذَا الْقَصْرِ عِيدًا فِي الْبِلَادِ دُعِيَ إِلَيْهِ الْأَشْرَافُ وَالْعُلَمَاءُ.. وَصَعِدَ «النُّعْمَانُ» فَوْقَ الْقَصْرِ وَمَعَهُ «سِنِمَّارُ».. وَكَانَ «سِنِمَّارُ» فَخُورًا بِعَمَلِهِ يَتَحَدَّثُ عَنْ عَظَمَةِ الْبِنَاءِ وَحِكْمَةِ الْهَنْدَسَةِ.

وَأُعْجِبَ الْمَلِكُ «النُّعْمَانُ» كَذَلِكَ بِالْبِنَاءِ وَقَالَ لَهُ: مَا رَأَيْتُ يَا «سِنِمَّارُ» أَعْجَبَ مِنْ هَذَا الْبِنَاءِ قَطُّ!!

فَتَفَاخَرَ «سِنِمَّارُ» قَائِلًا: لَوْ عَلِمْتُ يَا مَوْلَايَ أَنَّكُمْ تُوَفُّونِي أَجْرِي وَفَاءً حَسَنًا، لَجَعَلْتُهُ يَدُورُ مَعَ الشَّمْسِ!!

فَغَضِبَ «النُّعْمَانُ» مِنْ قَوْلِ «سِنِمَّارَ» وَغُرُورِهِ وَقَالَ: أَنْتَ إِذَنْ تَقْدِرُ عَلَى مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ.

قَالَ «سِنِمَّارُ»: لَكِنَّ فِي هَذَا الْقَصْرِ أُعْجُوبَةً أُخْرَى يَا مَوْلَايَ... إِنَّ فِي جِدَارِهِ قَالَبًا لَوْ نُزِعَ مِنْ مَكَانِهِ لَسَقَطَ الْقَصْرُ كُلُّهُ!!

فَازْدَادَ «النُّعْمَانُ» غَيْظًا مِنْ «سِنِمَّارَ».. وَوَجَدَهَا فُرْصَةً لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُ فَسَأَلَهُ: وَهَلْ يَعْرِفُ أَحَدٌ غَيْرُكَ مَوْضِعَ هَذَا الْقَالَبِ؟

قَالَ «سِنِمَّارُ» مَزْهُوًّا: لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ غَيْرِي. وَأَخَذَ يُقَهْقِهُ بِصَوْتٍ عَالٍ.

وَهُنَا أَمَرَ «النُّعْمَانُ» بِإِلْقَاءِ «سِنِمَّارَ» مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ! فَلَقِيَ «سِنِمَّارُ» أَسْوَأَ مَا يُجْزَى بِهِ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلَهُ، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ خَالِدَةً فِي نُفُوسِ النَّاسِ وَالشُّعَرَاءِ.. وَتُعْرَفُ بِاسْمِ «**جَزَاءُ سِنِمَّارَ**».

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ.

مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ.

تَقْطَعُ الْمَطَامِعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ.



الطَّبْعُ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ الطَّبْعُ وَمَا تَعَوَّدَ عَلَيْهِ وَلَا تُغَيِّرُهُ أَسْبَابٌ أُخْرَى.

يُحْكَى أَنَّ أَعْرَابِيًّا ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي الصَّحْرَاءِ، وَشَعَرَ بِالْجُوعِ وَالظَّمَإِ، فَلَجَأَ إِلَى كُوخٍ صَغِيرٍ، فَخَرَجَتْ لَهُ أَعْرَابِيَّةٌ وَرَحَّبَتْ بِهِ ضَيْفًا، وَقَدَّمَتْ لَهُ الطَّعَامَ وَالْمَاءَ فَأَكَلَ وَشَرِبَ، وَشَكَرَ لَهَا مَا فَعَلَتْ.

وَلَمْ يَكَدِ الرَّجُلُ يَنْتَهِي مِنْ طَعَامِهِ حَتَّى قَدِمَ زَوْجُ الْأَعْرَابِيَّةِ، وَحِينَمَا رَأَى الرَّجُلُ الضَّيْفَ، قَطَّبَ وَجْهَهُ وَلَمْ يُرَحِّبْ بِهِ!!

فَانْدَهَشَ الضَّيْفُ لِذَلِكَ، وَسَأَلَهُ: لِمَاذَا لَمْ تُرَحِّبْ بِي؟

قَالَ الزَّوْجُ: لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا.. مَا لَنَا وَلِلضَّيْفِ؟!

فَانْطَلَقَ الضَّيْفُ إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ بَعْدَ أَنْ شَكَرَ صَاحِبَةَ الْكُوخِ عَلَى كَرَمِهَا..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي، رَأَى الرَّجُلُ بَيْتًا بَعِيدًا فَقَصَدَهُ، فَوَجَدَ بِهِ أَعْرَابِيَّةً أَيْضًا فَقَالَتْ لَهُ: مَنْ تَكُونُ؟

قَالَ: أَنَا ضَيْفٌ.

قَالَتِ الْأَعْرَابِيَّةُ: لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا.. مَا لَنَا وَلِلضَّيْفِ؟!

وَبَيْنَمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ إِذْ قَدِمَ زَوْجُهَا، فَلَمَّا رَآهُ رَحَّبَ بِهِ وَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا بِالضَّيْفِ الْكَرِيمِ.

ثُمَّ أَتَى لَهُ بِطَعَامٍ كَثِيرٍ وَمَاءٍ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ ثُمَّ ضَحِكَ.

فَقَالَ لَهُ صَاحِبُ الْبَيْتِ: لِمَاذَا تَضْحَكُ أَيُّهَا الضَّيْفُ الْعَزِيزُ؟

قَالَ الضَّيْفُ: بِالْأَمْسِ طَرَقْتُ بَابَ كُوخٍ فِي الصَّحْرَاءِ، فَفَتَحَتْ لِي صَاحِبَتُهُ فَأَكْرَمَتْنِي، حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا فَقَالَ لِي: لَا أَهْلًا وَلَا مَرْحَبًا.. مَا لَنَا وَلِلضَّيْفِ؟! وَالْيَوْمُ حَدَثَ أَمْرٌ مُشَابِهٌ، لَكِنَّهُ مُخْتَلِفٌ؛ فَقَدْ قَابَلَتْنِي زَوْجَتُكَ وَهِيَ لَا تَرْغَبُ فِي اسْتِضَافَتِي حَتَّى جِئْتَ أَنْتَ.. فَكُنْتَ الْكَرِيمَ الْمِضْيَافَ.

فَضَحِكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ وَقَالَ لَهُ: لَا تَعْجَبْ يَا صَاحِبِي؛ فَتِلْكَ الْأَعْرَابِيَّةُ الَّتِي قَابَلْتَهَا بِالْأَمْسِ هِيَ أُخْتِي، وَزَوْجُهَا أَخُو امْرَأَتِي هَذِهِ، فَغَلَبَ عَلَى كُلٍّ طَبْعُ أَهْلِهِ.

فَانْدَهَشَ الضَّيْفُ وَقَالَ:

حَقًّا.. إِنَّ الطَّبْعَ يَغْلِبُ التَّطَبُّعَ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَنْ شَبَّ عَلَى شَيْءٍ شَابَ عَلَيْهِ.

الزَّيْتُ مِنَ الْعَجِينِ لَا يَضِيعُ.

رُدَّ الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَكَ.



الصَّبْرُ مِفْتَاحُ الفَرَجِ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَقَعُ فِي شِدَّةٍ عَظِيمَةٍ وَمِحْنَةٍ كَبِيرَةٍ، ثُمَّ يَأْتِيهِ الْفَرَجُ بِالصَّبْرِ عَلَى تَحَمُّلِ هَذِهِ الْمِحْنَةِ فَتُفْرَجُ شِدَّتُهُ وَتَنْكَشِفُ غُمَّتُهُ.

يُحْكَى أَنَّهُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ كَانَ هُنَاكَ سُلْطَانٌ مُحِبٌّ لِلْحِكْمَةِ وَالْحُكَمَاءِ، وَكَانَ حَكِيمُ زَمَانِهِ قَرِيبًا مِنْ نَفْسِ السُّلْطَانِ، فَكَانَ السُّلْطَانُ يَجْزِلُ لَهُ الْعَطَاءَ، وَيَأْنَسُ بِقُرْبِهِ، إِلَّا أَنَّهُ غَضِبَ عَلَيْهِ ذَاتَ مَرَّةٍ بِسَبَبِ وِشَايَةِ بَعْضِ حَاسِدِيهِ وَأَصْدَرَ الْأَمْرَ بِسَجْنِ الْحَكِيمِ فِي بَيْتٍ كَالْقَبْرِ ظُلْمَةً وَضِيقًا، وَأَنْ يُقَيَّدَ بِالْحَدِيدِ، وَأَلَّا يَلْبَسَ إِلَّا مَلَابِسَ خَشِنَةً مِنَ الصُّوفِ، وَأَمَرَ أَلَّا يُزَادَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى قُرْصٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ وَقَلِيلٍ مِنَ الْمِلْحِ وَكُوبٍ وَاحِدٍ فَقَطْ مِنَ الْمَاءِ.

كَمَا أَمَرَ أَنْ تُحْصَى كَلِمَاتُهُ فَتُنْقَلُ إِلَيْهِ.

فَأَقَامَ الْحَكِيمُ فِي السِّجْنِ شُهُورًا لَا يَسْمَعُ لَهُ أَحَدٌ لَفْظَةً وَاحِدَةً. وَتَبْدُو عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الِارْتِيَاحِ وَالرِّضَا.

وَلَمَّا بَلَغَ السُّلْطَانَ ذَلِكَ قَالَ: أَدْخِلُوا إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ، وَمُرُوهُمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ، وَيُفَاتِحُوهُ فِي الْكَلَامِ، وَاسْمَعُوا مَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ وَأَبْلِغُونِي بِهِ.

فَدَخَلَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْدِقَائِهِ، فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْحَكِيمُ، نَرَاكَ فِي هَذَا الضِّيقِ وَالْحَدِيدِ وَالشِّدَّةِ الَّتِي وَقَعْتَ فِيهَا، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّا نَرَاكَ فِي أَحْسَنِ حَالٍ، وَوَجْهُكَ وَجِسْمُكَ عَلَى حَالِهِمَا، لَمْ يَتَغَيَّرَا، فَمَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

قَالَ الْحَكِيمُ: إِنِّي عَمِلْتُ دَوَاءً مِنْ سِتَّةِ أَصْنَافٍ أَتَنَاوَلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا، فَهُوَ الَّذِي أَبْقَانِي عَلَى مَا تَرَوْنَ.

قَالُوا: صِفْهُ لَنَا، فَعَسَى أَنْ نُبْتَلَى بِمِثْلِ بَلْوَاكَ أَوْ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِنَا فَنَسْتَعْمِلُهُ أَوْ نَصِفُهُ لَهُ.

قَالَ الْحَكِيمُ: الصِّنْفُ الْأَوَّلُ هُوَ: الثِّقَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصِّنْفُ الثَّانِي هُوَ: عِلْمِي بِأَنَّ كُلَّ مُقَدَّرٍ كَائِنٌ، وَالصِّنْفُ الثَّالِثُ هُوَ: الصَّبْرُ، وَالصِّنْفُ الرَّابِعُ هُوَ: إِنْ لَمْ أَصْبِرْ

فَأَيَّ شَـــيْءٍ أَعْمَلُ؟ وَالصِّنْفُ الْخَامِسُ: قَدْ يُمْكِنُ أَنْ أَكُونَ فِي شَرٍّ مِمَّا أَنَا فِيهِ، فَحَمَدْتُ اللَّهَ عَلَى حَالِي. أَمَّا الصِّنْفُ السَّادِسُ فَهُوَ: مِنْ سَاعَةٍ إِلَى سَاعَةٍ يَكُونُ الْفَرَجُ بِإِذْنِ اللَّهِ.

فَلَمَّا بَلَغَ السُّـــلْطَانَ كَلَامُهُ، عَرَفَ قَدْرَهُ، وَعَفَا عَنْهُ، وَأَمَرَ بِسَجْنِ الْوُشَاةِ فِي مَحْبَسِ الْحَكِيمِ نَفْسِهِ!

حَقًّا.. إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا.. وَالصَّبْرُ مِفْتَاحُ الْفَرَجِ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَنْ صَبَرَ.. ظَفِرَ.

عَوَاقِبُ الْمَكَارِهِ.. مَحْمُودَةٌ.

لَا تُدْرَكُ الرَّاحَةُ.. إِلَّا بِالتَّعَبِ.



الْغُرُورُ شُرُورٌ

يُضْرَبُ لِلْغَبِيِّ الْأَحْمَقِ يَزْهُو بِنَفْسِهِ وَيَتَكَبَّرُ عَلَى غَيْرِهِ لَكِنَّهُ يَلْقَى نِهَايَةَ جَهْلِهِ وَتَكَبُّرِهِ شَرًّا عَلَى نَفْسِهِ.

حَدَثَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ فِي إِحْدَى أَسْوَاقِ الْعَرَبِ الْقَدِيمَةِ..

مَرَّ فِي السُّوقِ رَجُلٌ غَرِيبٌ يَلْبَسُ مَلَابِسَ فَاخِرَةً وَيَبْدُو عَلَيْهِ التَّكَبُّرُ وَالْغُرُورُ، وَكَانَ يَصْحَبُهُ تَابِعٌ لَهُ أَمِينٌ.

وَمَرَّ الْمَغْرُورُ عَلَى تَاجِرٍ يَبِيعُ الْأَقْمِشَةَ فَهَزِئَ بِهِ وَسَخِرَ مِنْهُ، وَرَمَاهُ بِالْفَقْرِ وَأَهَانَهُ أَمَامَ النَّاسِ.

وَسَارَ الْمَغْرُورُ، وَمَعَهُ تَابِعُهُ، يَتَخَايَلُ بِثَوْبِهِ وَيَضْحَكُ وَيَتَمَايَلُ، حَتَّى مَرَّ بِبَائِعٍ يَبِيعُ زَيْتَ الطَّعَامِ وَيَحْمِلُ إِنَاءَ الزَّيْتِ عَلَى كَتِفِهِ.

قَالَ الْمَغْرُورُ لِلْبَائِعِ: أَنْزِلْ هَذَا الْإِنَاءَ لِأَرَى زَيْتَكَ.

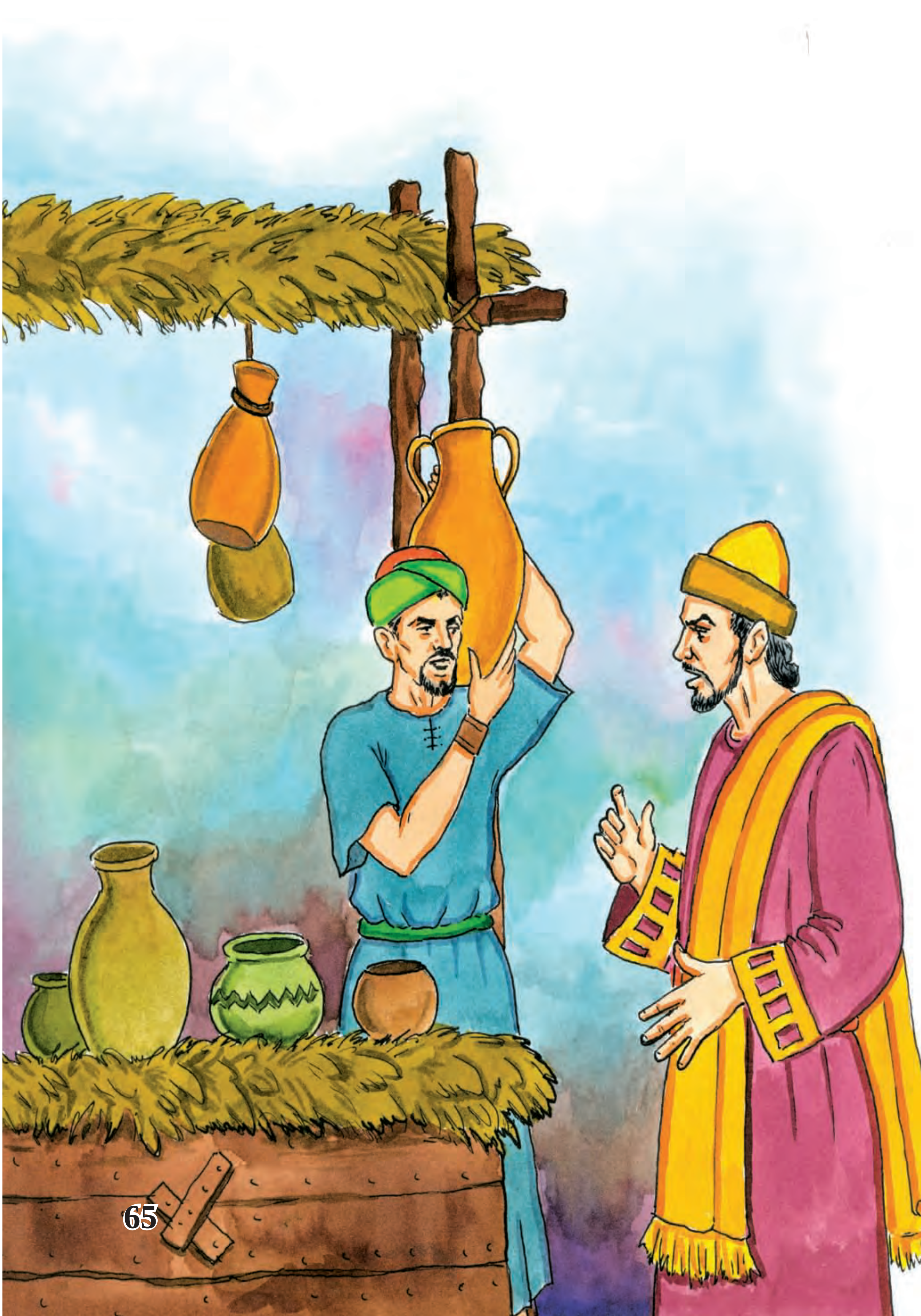
وَفِي أَثْنَاءِ مُحَاوَلَةِ الْبَائِعِ لِإِنْزَالِ الْإِنَاءِ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ، أَفْلَتَ مِنْهُ الْإِنَاءُ وَارْتَطَمَ بِالْأَرْضِ وَتَنَاثَرَتْ مِنْهُ بَعْضُ الْقَطَرَاتِ فَأَصَابَتْ ثَوْبَ الْمَغْرُورِ!

وَلَمْ يَقْبَلِ الْمَغْرُورُ اعْتِذَارَ الْبَائِعِ، وَقَالَ لَهُ صَائِحًا: إِنَّ ثَمَنَ ثَوْبِي هَذَا أَلْفُ دِرْهَمٍ!! وَلَنْ أَتْرُكَكَ حَتَّى تَدْفَعَ لِي ثَمَنَ ثَوْبِي الَّذِي لَطَّخْتَهُ بِالزَّيْتِ.

قَالَ الْبَائِعُ: يَا سَيِّدِي أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ.. ارْحَمْنِي وَالْتَمِسْ لِيَ الْعُذْرَ.

وَتَمَسَّكَ الْمَغْرُورُ بِقَوْلِهِ، وَطَالَبَ الْبَائِعَ الْفَقِيرَ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ثَمَنًا لِثَوْبِهِ، وَالْبَائِعُ يُحَاوِلُ أَنْ يُقْنِعَهُ بِفَقْرِهِ، وَأَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُزِيلَ هَذِهِ الْبُقَعَ وَيَغْسِلَ الثَّوْبَ، وَالْمَغْرُورُ لَا يَلِينُ.

قَالَ الْبَائِعُ: لَيْسَ مَعِي يَا سَيِّدِي إِلَّا مِئَةُ دِرْهَمٍ.. هِيَ كُلُّ مَا مَعِي، خُذْهَا وَاتْرُكْنِي.



وَتَجَمَّـــعَ النَّاسُ حَوْلَ الْمَغْرُورِ وَالْبَائِعِ الْفَقِيرِ، فَتَقَدَّمَ شَـــابٌّ ذَكِيٌّ وَسَـــأَلَ عَمَّا حَدَثَ فَأَخْرَجَ الشَّـــابُّ كِيسًـــا بِهِ أَلْفُ دِرْهَـــمٍ وَقَدَّمَهَا إِلَى الْمَغْـــرُورِ قَائِلًا: تَفَضَّلْ يَا سَيِّدِي ثَمَنَ ثَوْبِكَ.

فَأَخَذَهَا الْمَغْرُورُ، ثُمَّ هَمَّ بِالِانْصِرَافِ.

فَأَوْقَفَهُ الشَّابُّ الذَّكِيُّ قَائِلًا: إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ يَا سَيِّدِي؟

قَالَ الْمَغْرُورُ: سَأَذْهَبُ لِحَالِي.

قَالَ الشَّابُّ: أَلَمْ تَأْخُذْ أَلْفَ دِرْهَمٍ ثَمَنًا لِثَوْبِكَ كَمَا قُلْتَ؟! وَمَا بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي بِضَاعَةٌ حَاضِرَةٌ، وَأَنْتَ أَخَذْتَ الثَّمَنَ، وَلَمْ نَأْخُذْ نَحْنُ الْبِضَاعَةَ.

قَالَ الْمَغْرُورُ: أَنَا لَا أَفْهَمُ مَاذَا تَعْنِي أَيُّهَا الْفَتَى!!

قَالَ الشَّابُّ: لَقَدْ أَعْطَيْتُكَ الْمَالَ وَلَمْ آخُذِ الثَّوْبَ، إِنَّ مِنْ حَقِّنَا أَنْ نَأْخُذَ ثَوْبَكَ مُقَابِلَ الثَّمَنِ الَّذِي دَفَعْنَاهُ لَكَ.. أَلَيْسَ هَذَا قَانُونَ التِّجَارَةِ: بَيْعٌ وَشِرَاءٌ وَرِضًا وَقَبُولٌ.. وَبِضَاعَةٌ حَاضِرَةٌ.

قَالَ الْمَغْرُورُ: أَتَعْنِي أَنَّنِي أُعْطِيكَ ثَوْبِي وَأَمْشِي عَارِيًا، أَهَذَا مَعْقُولٌ؟!

رَدَّ الشَّابُّ: وَهَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ تَأْخُذَ مَالًا بِلَا مُقَابِلٍ؟!

وَأَخَذَا يَتَنَاقَشَانِ... وَالنَّاسُ يُؤَيِّدُونَ رَأْيَ الشَّابِّ الذَّكِيِّ..

حَتَّى قَالَ لَهُ الشَّابُّ: إِمَّا أَنْ تُعْطِيَنِي الثَّوْبَ، وَإِمَّا أَنْ تَشْتَرِيَهُ؟ فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْتَفِظَ بِهِ فَسَوْفَ أَعْرِضُ عَلَيْكَ ثَمَنًا آخَرَ.

قَالَ الْمَغْرُورُ: تَقْصِدُ الْأَلْفَ دِرْهَمٍ!!

قَالَ الشَّابُّ: لَا يَا سَـــيِّدِي.. إِنَّ الثَّوْبَ مِلْكِي الْآنَ، وَمِنْ حَقِّي أَنْ أُحَدِّدَ ثَمَنَهُ كَمَا أُرِيدُ!! إِنَّهُ يُسَاوِي أَلْفَيْ دِرْهَمٍ يَا سَيِّدِي!! فَإِذَا لَمْ تَدْفَعْهَا الْآنَ أَخَذْتُ الثَّوْبَ لِأَعْرِضَهُ عَلَى غَيْرِكَ!!

وَلَمْ يَجِدِ الرَّجُلُ الْمَغْرُورُ مَفَرًّا مِنَ الْخُضُوعِ لِهَذَا الْمَنْطِقِ: إِمَّا أَنْ يَدْفَعَ الْأَلْفَيْ دِرْهَمٍ، وَإِمَّا أَنْ يُعْطِيَ الثَّوْبَ إِلَى الشَّابِّ!!



وَبِالْفِعْلِ دَفَعَ الرَّجُلُ الْمَغْرُورُ أَلْفَيْ دِرْهَمٍ إِلَى الشَّابِّ الذَّكِيِّ، فَأَخَذَ الْأَلْفَ دِرْهَمٍ الَّتِي دَفَعَهَا لَهُ مِنْ قَبْــلُ، وَأَعْطَى بَائِعَ الزَّيْتِ مِئَةَ دِرْهَمٍ مُقَابِلَ خَسَــارَتِهِ وَإِهَانَتِهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الْمَغْرُورِ، أَمَّا التِّسْــعُمِئَةِ دِرْهَمٍ الْبَاقِيَةُ فَقَدْ أَوْدَعَهَا الشَّابُّ خِزَانَةَ الْمَدِينَةِ لِتُنْفَقَ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

وَعَادَ الْمَغْرُورُ خَائِبًا بِحُمْقِهِ وَغَبَائِهِ، شَقِيًّا بِغُرُورِهِ وَشُرُورِهِ!!

فَالْغُرُورُ شُرُورٌ

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

عَدُوُّ الرَّجُلِ حُمْقُهُ.. وَصَدِيقُهُ عَقْلُهُ.

الْجَهْلُ بِالْفَضَائِلِ مِنْ أَقْبَحِ الرَّذَائِلِ.

مَا طَارَ طَيْرٌ وَارْتَفَعَ.. إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَعَ.

مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ

يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَتَوَلَّى أَمْرَهُ بِنَفْسِهِ وَيَدَعُهُ لِغَيْرِهِ.

كَانَ يَا مَا كَانَ.. كَانَ هُنَاكَ حَاكِمٌ عَادِلٌ فَاضِلٌ، عَاشَ عُمْرًا طَوِيلًا وَلَمْ يُرْزَقْ بِمَوْلُودٍ، وَحِينَمَا أَرَادَ اللَّهُ، رَزَقَهُ بِمَوْلُودٍ جَمِيلٍ، فَسَمَّاهُ «عَطَاءً» تَيَمُّنًا بِعَطَاءِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ.

وَأَقَامَ الْأَمِيرُ الْأَفْرَاحَ وَعَلَّقَ الزِّينَاتِ، وَأَطْعَمَ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ؛ وَلِأَنَّهُ الْوَلَدُ الْوَحِيدُ فَقَدْ نَالَ مِنْ تَدْلِيلِ الْأَبِ وَالْأُمِّ الْكَثِيرَ، وَحِينَ دَخَلَ مَرْحَلَةَ الشَّبَابِ، لَمْ يَكُنْ يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ!! فَقَرَّرَ الْأَمِيرُ أَنْ يُسَلِّمَهُ لِأَحَدِ الْحُكَمَاءِ الَّذِينَ يَثِقُ بِهِمْ لِيُعَلِّمَهُ وَيُرَبِّيَهُ، لَكِنَّ «عَطَاءً» رَفَضَ هَذَا تَمَامًا وَقَالَ: مَا حَاجَتِي لِلتَّعْلِيمِ وَأَنَا ابْنُ أَمِيرٍ عَظِيمٍ؟!

لَكِنَّ الْأَمِيرَ أَخَذَ يَصِيحُ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا: إِنَّكَ عَالَةٌ عَلَى غَيْرِكَ، إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ عَنْكَ إِنَّكَ لَا تَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ خَلِيفَتِي فِي الْحُكْمِ!!

وَلَانَ «عَطَاءٌ» قَلِيلًا وَبَدَأَ يَسْتَجِيبُ لِبَعْضِ التَّوْجِيهَاتِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُقْتَنِعًا بِشَيْءٍ حَتَّى طَرَقَ بَابَ الْأَمِيرِ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ سَمِعْتُ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ حَالُ سَيِّدِي الْأَمِيرِ الصَّغِيرِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَنْغَمِسُ فِي اللَّعِــبِ وَاللَّهْوِ، وَلِهَذَا جِئْتُ إِلَيْكَ لِكَيْ أَصْحَبَهُ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ، وَبَعْدَهَا سَوْفَ تَرَى مَا يُسْعِدُكَ!

وَفَرِحَ الْأَمِيرُ بِمَا قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ، فَدَفَعَ بِوَلَدِهِ إِلَى الرَّجُلِ. وَلِأَنَّ حَيَاةَ الْعَرَبِ كَانَتْ تَتَّسِمُ بِالْبَدَاوَةِ وَالْخُشُــونَةِ وَالتَّحَمُّلِ، فَمُنْذُ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ وَ«عَطَاء» يَشْكُو التَّعَبَ وَيَشْعُرُ بِالْجُوعِ الشَّدِيدِ.

قَالَ «عَطَاء» لِلْأَعْرَابِيِّ وَقَدْ أَضْنَاهُ التَّعَبُ: أُرِيدُ أَنْ أَسْــتَرِيحَ قَلِيلًا وَأَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ.



قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: وَأَنَا مِثْلُكَ تَمَامًا يَا وَلَدِي.. أُرِيدُ أَنْ أَسْتَرِيحَ وَأَتَنَاوَلَ الطَّعَامَ، لَكِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَكِّرَ مَعًا كَيْفَ نَحْصُلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ نَبْحَثُ عَنْ مَكَانٍ آمِنٍ نَبِيتُ فِيهِ حَتَّى الصَّبَاحِ.

صَاحَ «عَطَاء» مُحْتَجًّا: أَنَا أَنَامُ فِي الصَّحْرَاءِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ أَنَامُ فَوْقَ الْوَسَائِدِ الْوَثِيرَةِ الْمُعَطَّرَةِ؟! أَنَا أَبْحَثُ عَنْ طَعَامِي بِنَفْسِي؟! اذْهَبْ أَنْتَ وَأَعِدَّ هَذَا كُلَّهُ.

قَالَ الرَّجُلُ: يَا وَلَدِي.. نَحْنُ وَحِيدَانِ هُنَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَخْدُمَ أَنْفُسَنَا، فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ؛ أَبْحَثُ أَنَا وَحْدِي وَأَتْرُكُكَ هُنَا، وَلَنْ تَتَنَاوَلَ شَيْئًا مِنْ طَعَامِي، أَوْ تَنَامَ فِي مَكَانِي، وَإِذَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعُودَ إِلَى مَقَرِّ أَبِيكَ فَافْعَلْ!!

وَفِي الصَّبَاحِ قَالَ «عَطَاء» لِلرَّجُلِ: أَلَا تُلْبِسُنِي ثَوْبِي أَيُّهَا الرَّجُلُ؟!

رَدَّ الرَّجُلُ فِي حَزْمٍ: أَنَا لَسْتُ خَادِمًا لَكَ يَا وَلَدِي، كُلٌّ مِنَّا يَخْدِمُ نَفْسَهُ، أَنَا أَلْبَسُ ثَوْبِي بِنَفْسِي، وَأَنْتَ كَذَلِكَ، ثُمَّ هَيَّا بِنَا نُسْرِعُ فَلَدَيْنَا مُهِمَّةٌ أُخْرَى.

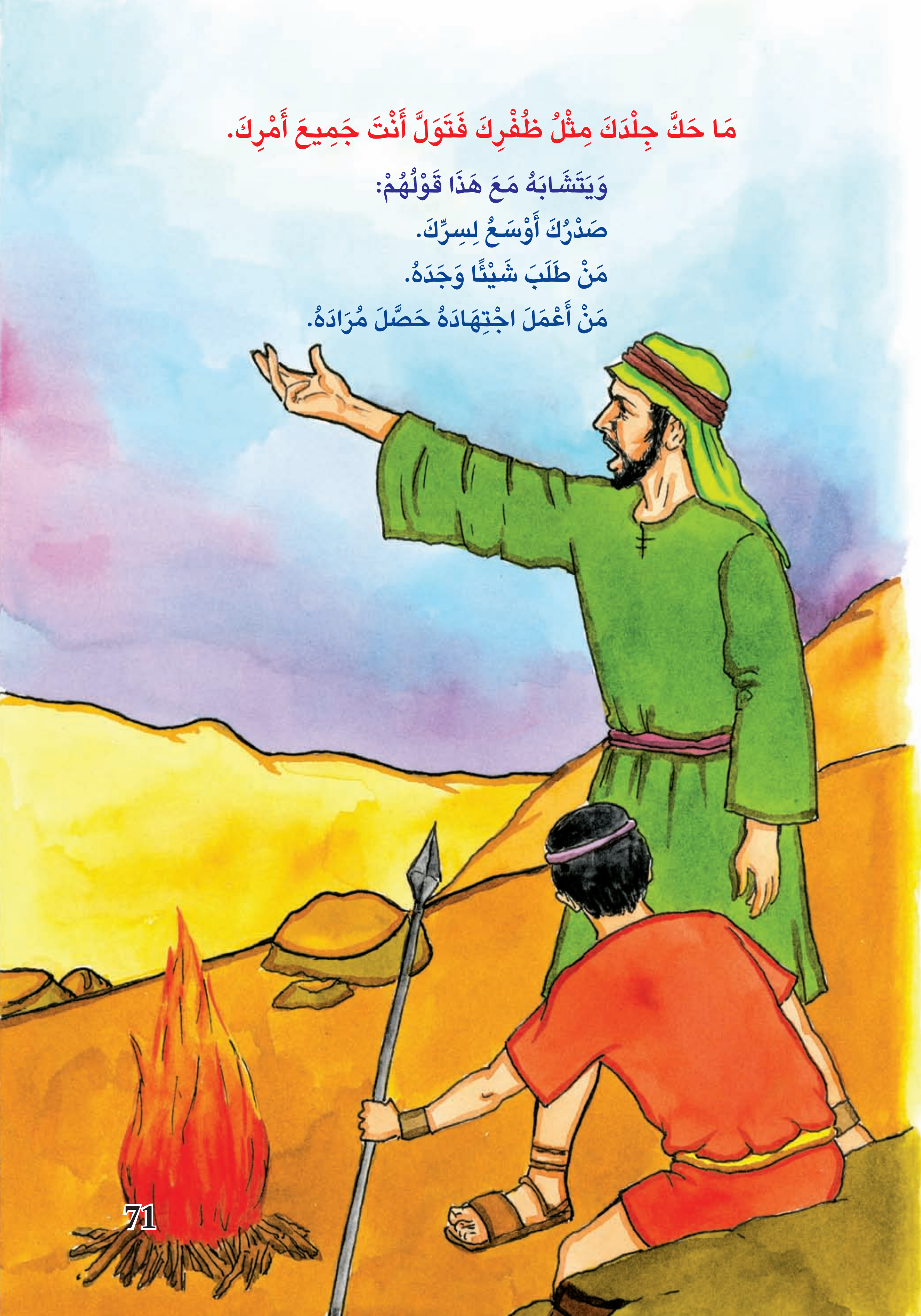
ثُمَّ صَحِبَ الرَّجُلُ الْأَمِيرَ الصَّغِيرَ إِلَى رِحْلَةِ صَيْدٍ، وَلِهَذَا جَعَلَهُ يَشْحَذُ أَدَوَاتِهِ بِنَفْسِهِ، وَعَلَّمَهُ كَيْفَ يَصِيدُ وَكَيْفَ يُنَاوِرُ، وَإِذَا لَمْ يَحْصُلْ عَلَى مَا يَصِيدُهُ حُرِمَ الطَّعَامَ، وَإِذَا لَمْ يَنْجَحْ فِي شَيْءٍ لَا يَحْصُلُ عَلَى نَتَائِجِهِ.

عِنْدَئِذٍ سَلَّمَ «عَطَاء» أَمْرَهُ للهِ، وَأَيْقَنَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَعْتَمِدْ عَلَى نَفْسِهِ هَلَكَ، فَبَحَثَ مَعَ الرَّجُلِ عَنِ الطَّعَامِ، وَجَهَّزَ مَعَهُ مَكَانَ الْمَبِيتِ.

وَتَغَيَّرَ حَالُ الْفَتَى «عَطَاء»، وَبَدَأَ يَنْدَمُ عَلَى كُلِّ مَا مَضَى مِنْ عُمْرِهِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، لَكِنَّ الْأَعْرَابِيَّ كَانَ يَقُولُ لَهُ دَائِمًا: أَنَا لَا أُرِيدُكَ أَنْ تَكُفَّ عَنِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ، لَكِنْ أُرِيدُكَ أَنْ تُخَصِّصَ وَقْتًا لِهَذَا وَوَقْتًا لِلْعَمَلِ وَوَقْتًا لِلْعِلْمِ.

وَمَضَتِ الْأَشْهُرُ الثَّلَاثَةُ، وَعَادَ الْأَعْرَابِيُّ مَعَ «عَطَاء» إِلَى وَالِدِهِ الْأَمِيرِ، وَدَخَلَ «عَطَاء» إِلَى أَبِيهِ فَحَيَّاهُ تَحِيَّةَ احْتِرَامٍ وَتَقْدِيرٍ وَعَانَقَهُ وَقَبَّلَهُ، وَتَحَدَّثَ إِلَيْهِ حَدِيثَ الْمُهَذَّبِ الْوَاثِقِ، وَأَخَذَ يَقُصُّ عَلَيْهِ وَعَلَى أُمِّهِ مَا حَدَثَ لَهُ وَمَا تَغَيَّرَ فِيهِ فِي الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ.

فَقَدْ تَعَلَّمَ أَنَّهُ:



مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكَ فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكَ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

صَدْرُكَ أَوْسَعُ لِسِرِّكَ.

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَهُ.

مَنْ أَعْمَلَ اجْتِهَادَهُ حَصَّلَ مُرَادَهُ.

مَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا

يُضْرَبُ لِمَنْ يُرِيدُ سُوءًا بِأَحَدٍ.. فَيَحِلُّ بِهِ مَا أَرَادَهُ لِغَيْرِهِ.

يُحْكَى أَنَّ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ كَانَ يَشْـــكُو مَرَضًا عَجَزَ عَنْهُ الْأَطِبَّاءُ، فَأَرْسَـــلَ الْمُنَادِينَ فِي الْبِلَادِ يُعْلِنُونَ عَنْ مُكَافَأَةٍ كَبِيرَةٍ لِمَنْ يَسْتَطِيعُ شِفَاءَ الْأَمِيرِ مِنْ مَرَضِهِ.

وَتَقَدَّمَ الْكَثِيرُونَ، لَكِنَّهُمْ فَشِلُوا فِي شِفَائِهِ، حَتَّى تَسَرَّبَ الْيَأْسُ إِلَى نَفْسِهِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. قَدِمَ عَلَى الْأَمِيرِ رَجُلٌ فَقِيرُ الْحَالِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ دَوَاءً، اسْـــتَعْمَلَهُ الْأَمِيرُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ شُفِيَ بَعْدَهَا تَمَامًا!!

وَأَقَامَ الْأَمِيرُ بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ حَفْلًا دَعَا إِلَيْهِ أَشْـــرَافَ الْبِلَادِ، لِتَكْرِيمِ الْبَدَوِيِّ الَّذِي نَجَـــحَ فِي عِلَاجِهِ، ثُمَّ أَعْلَنَ فِي هَذَا الْحَفْلِ أَنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يَتَّخِذَهُ حَكِيمًا لَهُ، فَلَنْ يَجِدَ أَخْلَصَ وَلَا أَعْلَمَ مِنْهُ.

وَتَلَقَّى أَشْـــرَافُ الْبِلَادِ هَذَا الْقَرَارَ بِالرِّيبَةِ، فَبَعْضُهُمْ رَضُوا عَنْهُ، وَبَعْضُهُمْ دُهِشُوا لَهُ!!

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ وَزِيرٌ حَاسِدٌ شِـــرِّيرٌ، أَذْهَلَهُ مَا فَعَلَهُ الْأَمِيرُ مَعَ الْبَدْوِيِّ، وَقَالَ فِي نَفْسِـــهِ: لَا بُدَّ أَنْ أَحْتَالَ لِأَقْتُلَ هَذَا الْبَدْوِيَّ، وَإِذَا لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ فَسَيَأْتِي الْيَوْمُ الَّذِي أَفْقِدُ فِيهِ مَكَانَتِي لَدَى الْأَمِيرِ.

وَأَخَذَ الْوَزِيرُ يُفَكِّرُ فِي حِيلَةٍ وَيُخَطِّطُ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الرَّجُلِ الطَّيِّبِ.

وَبَدَأَ الْوَزِيرُ يَتَلَطَّفُ مَعَ الْبَدْوِيِّ حَتَّى دَعَاهُ يَوْمًا إِلَى الْعَشَـــاءِ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَمِيرَ سَوْفَ يَرَى الْبَدْوِيَّ بَعْدَ الْعَشَاءِ، فَأَسْرَعَ الْوَزِيرُ إِلَى الْأَمِيرِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ حَزِينًا غَاضِبًا، فَسَأَلَهُ الْأَمِيرُ عَنْ سَبَبِ حُزْنِهِ وَغَضَبِهِ.

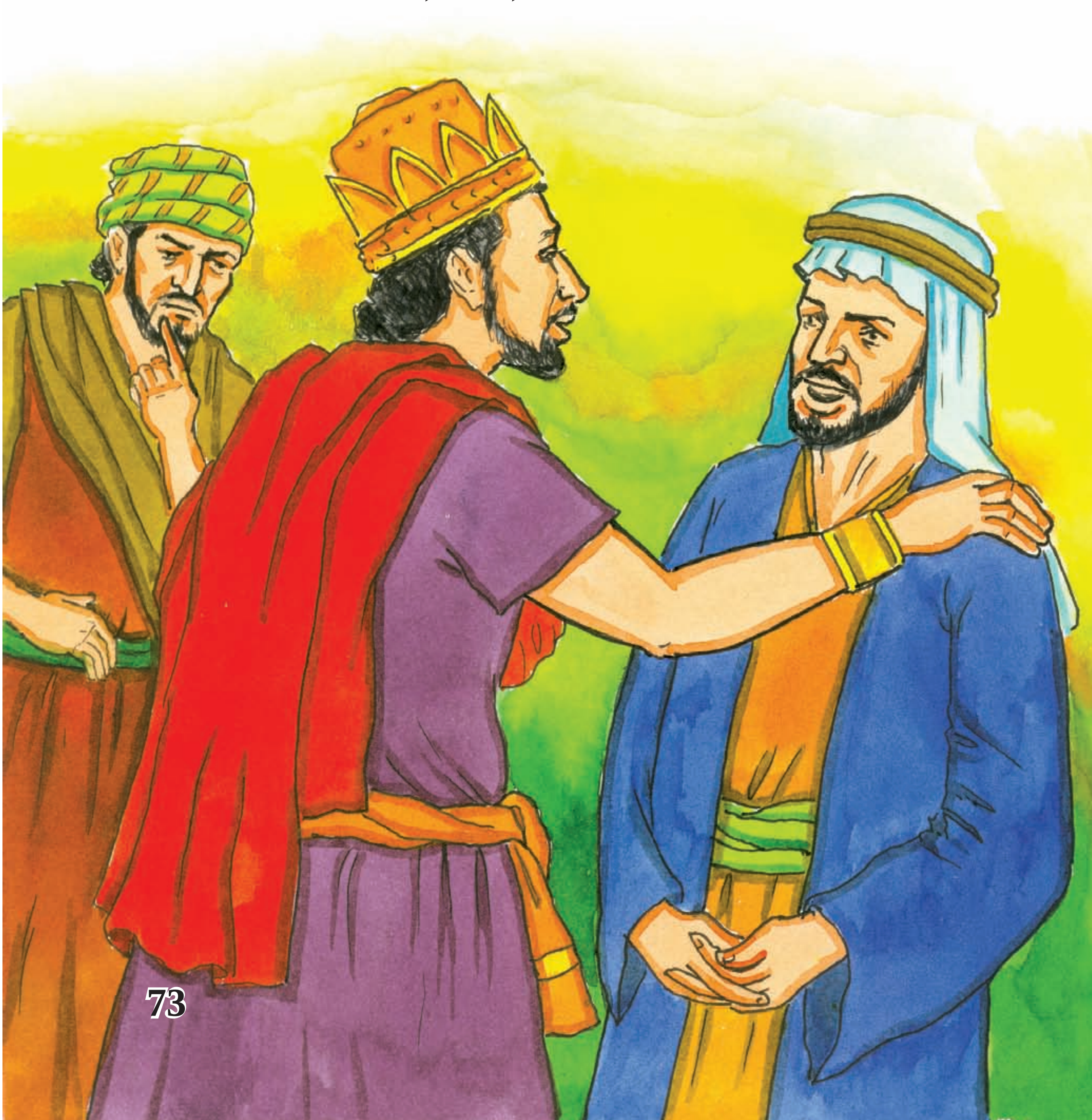
فَقَالَ لَهُ: يَا مَوْلَايَ إِنَّكَ تَعْلَمُ مِقْدَارَ إِخْلَاصِي لَكَ طَوَالَ عُمْرِي، وَلِهَذَا جِئْتُ إِلَيْكَ يَا مَوْلَايَ لِأُحَذِّرَكَ مِنْ هَذَا الْبَدْوِيِّ الَّذِي قَرَّبْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ.

وَهُنَا سَأَلَهُ الْأَمِيرُ: مَاذَا تَقْصِدُ أَيُّهَا الْوَزِيرُ؟! قُلْ مَا عِنْدَكَ.

قَالَ الْوَزِيرُ: هَذَا رَجُلٌ خَائِنٌ يَكْرَهُكَ؛ إِنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَهْلِكَ بِالسُّوءِ، وَيُفْشِي أَسْرَارَ بَيْتِــكَ لِلنَّاسِ، لَكِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي لَا يُحْتَمَلُ يَا مَوْلَايَ أَنَّهُ يُشِــيعُ عَنْكَ لِلنَّاسِ أَنَّكَ أَبْخَرُ! وَرَائِحَةُ فَمِكَ كَرِيهَةٌ!

وَهُنَا صَاحَ الْأَمِيرُ: مَاذَا تَقُولُ؟! أَيَقُولُ الرَّجُلُ لِلنَّاسِ إِنَّ رَائِحَةَ فَمِي كَرِيهَةٌ؟!

قَالَ الْوَزِيرُ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ.. وَلَكَ أَنْ تَتَأَكَّدَ اللَّيْلَةَ حِينَمَا يَجِيئُكَ، فَسَتَرَاهُ يَضَعُ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ حَتَّى لَا يَشُمَّ رَائِحَةَ فَمِكَ، وَانْصَرَفَ الْوَزِيرُ مُسْرِعًا إِلَى إِعْدَادِ عَشَاءِ الرَّجُلِ فِي



بَيْتِهِ، أَمَّا الْأَمِيرُ فَأَخَذَ يُفَكِّرُ فِيمَا قَالَهُ الْوَزِيرُ، وَتَمَلَّكَهُ الْقَلَقُ وَالْحَيْرَةُ، وَأَسْرَعَ الرَّجُلُ إِلَى بَيْتِ الْوَزِيرِ لِتَنَاوُلِ الْعَشَاءِ.

وَكَانَ الْوَزِيرُ قَدْ أَمَرَ بِإِعْدَادِ طَعَامٍ جَيِّدٍ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُوضَعَ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الثَّوْمِ !!

وَجَلَسَ الْوَزِيرُ وَالرَّجُلُ يَأْكُلَانِ، ثُمَّ قَالَ الْوَزِيرُ لِلرَّجُلِ: مَا رَأْيُكَ فِي الطَّعَامِ؟

قَالَ الرَّجُلُ: طَعَامٌ شَهِيٌّ حَقًّا يَا أَخِي.

قَالَ الْوَزِيرُ: أَتَدْرِي لِمَاذَا هُوَ طَعَامٌ شَهِيٌّ؟ لَقَدْ أَكْثَرْتُ فِيهِ الثَّوْمَ، صَحِيحٌ أَنَّ لَهُ رَائِحَةً نَفَّاذَةً، لَكِنَّهُ يُكْسِبُ الطَّعَامَ مَذَاقًا شَهِيًّا.

وَهُنَا تَوَقَّفَ الرَّجُلُ عَنْ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ، فَسَأَلَهُ الْوَزِيرُ: لِمَاذَا تَوَقَّفْتَ يَا صَدِيقِي؟

قَالَ الرَّجُلُ: إِنَّ الْأَمِيرَ سَوْفَ يَلْقَانِي اللَّيْلَةَ، وَلَا أَدْرِي مَاذَا أَفْعَلُ لَوْ شَمَّ رَائِحَةَ فَمِي؟

قَالَ الْوَزِيرُ: اعْذُرْنِي يَا صَدِيقِي، فَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَنَّهُ سَوْفَ يَلْقَاكَ اللَّيْلَةَ!! وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ يَتَأَذَّى مِنْ رَائِحَةِ الثَّوْمِ وَالْبَصَلِ، وَلَكِنَّ هُنَاكَ حَلًّا لِهَذَا الْمَوْقِفِ..

قَالَ الرَّجُلُ مُتَلَهِّفًا: إِلَيَّ بِهِ يَا صَدِيقِي.

قَالَ الْوَزِيرُ: إِذَنْ لَا مَفَرَّ مِنْ أَنْ تَضَعَ كُمَّكَ عَلَى فَمِكَ؛ حَتَّى لَا يَشُمَّ الْأَمِيرُ رَائِحَةَ الثَّوْمِ!!

وَأَخَذَ الْوَزِيرُ يُقْنِعُ الرَّجُلَ بِأَنَّ هَذَا الْحَلَّ مَعْقُولٌ وَلَنْ يُلَاحِظَهُ الْأَمِيرُ، ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى اسْتِئْنَافِ تَنَاوُلِ الطَّعَامِ.

وَذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى لِقَاءِ الْأَمِيرِ، وَجَلَسَ بِجَانِبِهِ، وَوَضَعَ كُمَّهُ عَلَى فَمِهِ حَتَّى لَا يُؤْذِيَ الْأَمِيرَ بِرَائِحَةِ الثَّوْمِ.

وَتَذَكَّرَ الْأَمِيرُ كَلَامَ الْوَزِيرِ، فَصَدَّقَ مَا أَخْبَرَهُ بِهِ مِنْ أَنَّ الرَّجُلَ يَتَأَذَّى مِنْ رَائِحَةِ فَمِهِ، وَأَنَّهُ يُشِيعُ عَنْهُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي أَعَدَّ الْأَمِيرُ رِسَالَةً مُغْلَقَةً إِلَى أَحَدِ أَصْدِقَائِهِ الْأُمَرَاءِ، وَاسْتَدْعَى الرَّجُلَ الْبَدْوِيَّ، وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْمِلَهَا إِلَى صَدِيقِهِ، وَكَانَ مَكْتُوبًا فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ: إِذَا وَصَلَ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا فَاضْرِبْ عُنُقَ حَامِلِهِ!!

وَامْتَثَلَ الْبَدْوِيُّ لِأَمْرِ الْأَمِيرِ وَحَمَلَ الرِّسَالَةَ وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَهُ الْوَزِيرُ الْحَاسِدُ عِنْدَ الْبَابِ وَسَأَلَهُ عَنْ وِجْهَتِهِ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَمَرَنِي مَوْلَايَ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى صَدِيقِهِ لِأُسَلِّمَهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَأَعُودَ لَهُ بِالْجَوَابِ!!

فَحَدَّثَ الْوَزِيرُ نَفْسَهُ: لَا بُدَّ أَنَّ الْأَمِيرَ قَدْ كَتَبَ لِهَذَا الْبَدْوِيِّ بِمَالٍ كَثِيرٍ يَأْخُذُهُ مِنْ صَدِيقِهِ وَلَمْ تَنْجَحْ حِيلَتِي مَعَهُ!!

وَاتَّجَهَ الْوَزِيرُ إِلَى الْبَدْوِيِّ وَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ تَعْلَمُ كَمْ أُحِبُّكَ، فَمَا رَأْيُكَ لَوْ أُرِيحُكَ مِنْ مَشَقَّةِ هَذَا السَّفَرِ، وَأُعْطِيكَ أَلْفَيْ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تَمْكُثَ فِي بَيْتِكَ حَتَّى أَعُودَ بِالْجَوَابِ، فَتَقُولَهُ أَنْتَ لِلْأَمِيرِ؛ فَلَيْسَتْ لَدَيْكَ خِبْرَةٌ كَافِيَةٌ بِمُعَامَلَةِ الْأُمَرَاءِ؟! وَرُبَّمَا تَكُونُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ أُمُورٌ لَا يُمْكِنُكَ الْإِجَابَةُ عَنْهَا.



وَاسْــــتَطَاعَ الْوَزِيرُ أَنْ يُقْنِعَ الرَّجُلَ، فَأَعْطَاهُ الرَّجُلُ الرِّسَالَةَ وَأَخَذَ مِنْهُ أَلْفَيْ دِينَارٍ، وَتَوَجَّهَ الْوَزِيرُ إِلَى صَدِيقِ الْأَمِيرِ، فَلَمَّا قَرَأَ رِسَالَةَ صَدِيقِهِ أَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِ الْوَزِيرِ.

وَبَعْدَ أَيَّامٍ تَذَكَّرَ الْأَمِيرُ أَمْرَ الْبَدْوِيِّ، فَسَــــأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ بِالْمَدِينَةِ، وَسَأَلَ عَنِ الْوَزِيرِ فَأَخْبَرُوهُ بِأَنَّهُ ذَهَبَ فِي سَفَرٍ وَلَمْ يَرْجِعْ!!

فَأَمَــــرَ الْأَمِيرُ بِإِحْضَارِ الْبَدْوِيِّ، وَسَــــأَلَهُ عَنْ حَالِهِ، وَلِمَاذَا لَــــمْ يَذْهَبْ إِلَى صَدِيقِهِ بِرِسَالَتِهِ؟!

فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ بِالْقِصَّةِ، وَمَا حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَزِيرِ.

وَهُنَا سَأَلَهُ الْأَمِيرُ: أَلَمْ تَقُلْ لِلنَّاسِ عَنِّي إِنَّنِي أَبْخَرُ، وَإِنَّكَ تَتَأَذَّى مِنْ رَائِحَةِ فَمِي؟!

قَالَ الْبَدْوِيُّ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَ هَذَا عَنْ رَجُلٍ أَحْسَنَ إِلَيَّ!!

قَالَ الْأَمِيرُ: إِذَنْ لِمَاذَا وَضَعْتَ كُمَّكَ فَوْقَ فَمِكَ وَأَنْتَ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ؟!



فَأَخْبَرَهُ الرَّجُلُ بِمَا فَعَلَهُ مَعَهُ الْوَزِيرُ حِينَمَا دَعَاهُ إِلَى الْعَشَاءِ، وَأَكْثَرَ الثَّوْمَ في الطَّعَامِ، وَحَذَّرَهُ مِنْ أَنْ يَشُمَّ الْأَمِيرُ رَائِحَةَ فَمِهِ.

ثُمَّ سَأَلَهُ الْأَمِيرُ كَذَلِكَ: أَأَنْتَ أَشَعْتَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِي سُوءًا لِلنَّاسِ؟!

رَدَّ الرَّجُلُ: وَكَيْفَ لِي يَا مَوْلَايَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَخْلَاقَ الْبَدَاوَةِ؟!

وَهُنَا قَالَ الْأَمِيرُ: قَاتَلَ اللَّهُ الْحَسَدَ.. مَا أَعْدَلَهُ بِصَاحِبِهِ!!

لَقَدْ حَفَرَ الْوَزِيرُ حُفْرَةً لِلْبَدْوِيِّ فَوَقَعَ فِيهَا!! وَهَذَا هُوَ الْقِصَاصُ الْعَادِلُ.

فَمَنْ حَفَرَ حُفْرَةً لِأَخِيهِ وَقَعَ فِيهَا.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ.. حَارَتِ الْعَيْنُ.

الْحَسُودُ لَا يَسُودُ.

مَا كُلُّ رَامِي غَرَضٍ يُصِيبُ.



لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ لَاسْتَرَاحَ الْقَاضِي

يُضْرَبُ فِي حَثِّ النَّاسِ عَلَى الْإِنْصَافِ وَالْمُعَامَلَةِ الْحَسَنَةِ.

اعْتَزَمَ رَجُلٌ الْخُرُوجَ إِلَى الْحَـــجِّ، وَكَانَ لَدَيْهِ كِيسٌ فِيهِ جَوْهَرَةٌ ثَمِينَةٌ يَخَافُ عَلَيْهَا السَّرِقَةَ، فَاتَّفَقَ مَعَ أَحَدِ الْعَطَّارِينَ أَنْ يَحْفَظَهَا عِنْدَهُ حَتَّى يَعُودَ.

وَيَذْهَبُ الرَّجُلُ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ، وَيَعُودُ بَعْدَهَا لِيُطَالِبَ الْعَطَّارَ بِرَدِّ أَمَانَتِهِ، لَكِنَّ الْعَطَّارَ أَنْكَرَهَا!! وَظَلَّ الرَّجُلُ يُحَاوِلُ أَنْ يُذَكِّرَهُ بِهَا، لَكِنَّ الْعَطَّارَ صَاحَ فِي وَجْهِهِ قَائِلًا: وَهَلْ لَدَيْكَ صَكٌّ مَكْتُوبٌ يُثْبِتُ أَمَانَتَكَ عِنْدِي؟!

قَالَ الرَّجُلُ: لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا صَكٌّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهَذَا.

وَيَحْتَكِمَانِ إِلَى الْقَاضِي..

وَكَانَ الْقَاضِي مَشْـــهُورًا بِالْحِكْمَةِ وَالدَّهَاءِ. فَسَأَلَ الرَّجُلَ أَمَامَ الْعَطَّارِ: أَيْنَ سَلَّمْتَ جَوْهَرَتَكَ إِلَى هَذَا الْعَطَّارِ؟

قَالَ الرَّجُلُ: فِي مَوْضِعٍ خَارِجَ الْبَلْدَةِ.

قَالَ الْقَاضِي: أَيَّةُ عَلَامَةٍ يُعْرَفُ بِهَا؟!

قَالَ الرَّجُلُ: فِيهِ شَجَرَةُ صَفْصَافٍ كَبِيرَةٌ.

سَأَلَ الْقَاضِي: وَمَنْ شَهِدَ عَلَى هَذَا؟

قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ وَحْدَهُ يَشْهَدُ يَا سَيِّدِي.

وَهُنَـــا صَمَتَ الْقَاضِي قَلِيلًا مُفَكِّرًا، ثُمَّ قَالَ لِلرَّجُلِ: عَلَيْكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى حَيْثُ هَذِهِ الشَّـــجَرَةُ الْكَبِيرَةُ، لَعَلَّ اللَّهَ يُظْهِرَ لَكَ عَلَامَةً تُبَيِّنُ بِهَا حَقَّكَ، أَوْ لَعَلَّكَ دَفَنْتَ جَوْهَرَتَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَنَسِيتَ، فَتَذْكُرَهَا إِذَا رَأَيْتَ الشَّجَرَةَ!!

فَمَضَى الرَّجُلُ مُسْــرِعًا مِنْ أَمَامِ الْقَاضِي، وَطَلَبَ مِنَ الْعَطَّارِ أَنْ يَجْلِسَ حَتَّى يَعُودَ الرَّجُلُ.

وَظَلَّ الْقَاضِي يَحْكُمُ فِي قَضَايَا أُخْرَى لِلنَّاسِ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْعَطَّارِ وَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا أَتَرَى صَاحِبَكَ قَدْ بَلَغَ مَوْضِعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا؟!

وَهُنَا رَدَّ الْعَطَّارُ بِلَا تَفْكِيرٍ: لَا يَا سَيِّدِي الْقَاضِي.. مَا أَظُنُّهُ بَلَغَهَا بَعْدُ!!

فَصَاحَ الْقَاضِي فِي وَجْهِهِ: وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ إِنَّكَ لَكَاذِبٌ وَخَائِنٌ، وَإِلَّا فَكَيْفَ عَرَفْتَ بِأَمْرِ الشَّجَرَةِ إِذَا لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهَا؟!

فَاعْتَرَفَ الْعَطَّارُ بِخِيَانَتِهِ، وَأَمَرَهُ الْقَاضِي أَنْ يُحْضِرَ أَمَانَةَ الرَّجُلِ، وَأَنْزَلَ بِهِ عِقَابًا شَدِيدًا جَزَاءَ مَا فَعَلَ.

ثُمَّ تَنَهَّدَ الْقَاضِي بِأَسًى وَهُوَ يَقُولُ:

حَقًّا.. لَوْ أَنْصَفَ النَّاسُ لَاسْتَرَاحَ الْقَاضِي!!

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَنْ نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ سَلِمَ مِنَ النَّوَائِبِ.

مَنِ اسْتَغْنَى عَنْ عَقْلِهِ ضَلَّ.

مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِنَفْسِهِ لَمْ يَصْلُحْ لِغَيْرِهِ.



مِثْلُ مِسْمَارِ جُحَا

يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَّخِذُ ذَرِيعَةً لِاسْتِغْلَالِ الْأَمْرِ وَإِزْعَاجِ غَيْرِهِ بِهِ.

يَضْرِبُونَ بِـ «جُحَا» الْمَثَلَ فِي الْحِكْمَةِ وَالْحُمْقِ مَعًا!! وَفِي السُّخْرِيَةِ وَالْجِدِّيَّةِ مَعًا.. وَهَذِهِ حِكَايَةٌ عَنْهُ تُؤَكِّدُ دَهَاءَهُ وَذَكَاءَهُ.

يُحْكَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَمْتَلِكُ بَيْتًا صَغِيرًا يَعِيشُ فِيهِ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَأَوْلَادُهُ، وَفِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ ضَاقَتْ بِهِ الْحَيَاةُ وَاحْتَاجَ إِلَى بَعْضِ الْمَالِ لِيَقْضِيَ بِهِ شُؤُونَهُ.

وَأَخَذَ «جُحَا» يَمُرُّ عَلَى أَصْدِقَائِهِ لَعَلَّهُمْ يُقْرِضُونَهُ مَالًا، لَكِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ يَمْلِكُ زِيَادَةً يُقْرِضُهَا لَهُ.

وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ مَفَرٌّ مِنْ أَنْ يَرْهَنَ بَيْتَهُ عِنْدَ شَخْصٍ آخَرَ، وَبِالْفِعْلِ رَهَنَ الْبَيْتَ وَظَلَّ زَمَنًا هَكَذَا، وَكُلَّمَا أَرَادَ «جُحَا» أَنْ يَسُدَّ دَيْنَهُ لِلرَّجُلِ لَمْ يَسْتَطِعْ.

وَذَهَبَ الرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ إِلَى الْقَاضِي يَشْكُو «جُحَا»، وَيُخَيِّرُهُ بَيْنَ سَدَادِ الدَّيْنِ وَبَيْعِ الْبَيْتِ!!

وَلَمْ يَكُنْ مَعَ «جُحَا» مَالٌ يَسُدُّ بِهِ دَيْنَهُ، فَحَكَمَ عَلَيْهِ الْقَاضِي أَنْ يَبِيعَ الْبَيْتَ إِلَى الرَّجُلِ.

لَكِنَّ «جُحَا» اشْتَرَطَ أَنْ يَحْتَفِظَ بِمِسْمَارٍ لَهُ مُثَبَّتٍ فِي حَائِطِ إِحْدَى الْغُرَفِ، فَيَبْقَى ذَلِكَ الْمِسْمَارُ مِلْكًا لَهُ لَا يُنَازِعُهُ الرَّجُلُ فِي مِلْكِيَّتِهِ!!

وَبَعْدَ مُنَاقَشَةٍ طَوِيلَةٍ رَضِيَ الرَّجُلُ بِهَذَا الشَّرْطِ، فَاشْتَرَى بَيْتَ «جُحَا»، وَأَقَرَّ الْقَاضِي الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ.

وَبَعْدَ مُدَّةٍ وَجِيزَةٍ مِنْ بَيْعِ الْبَيْتِ طَرَقَ «جُحَا» بَابَ الرَّجُلِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ سَائِلًا عَمَّا يُرِيدُهُ!!

فَقَالَ «جُحَا»: مِنْ فَضْلِكَ.. لَقَدْ أَتَيْتُ لِأَزُورَ مِسْمَارِي!!



وَأَدْخَلَهُ الرَّجُلُ لِيَرَى مِسْـــمَارَهُ، فَرَأَى «جُحَا» جُبَّةَ الرَّجُلِ مُعَلَّقَةً فَوْقَ الْمِسْمَارِ، فَطَلَبَ إِلَى الرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَهَا وَلَا يُعَلِّقَهَا فِي مِسْمَارِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ؛ لِأَنَّهُ مِسْمَارُهُ هُوَ!!

ثُمَّ أَخَذَ «جُحَا» يَتَحَدَّثُ إِلَى الْمِسْمَارِ فِي مَوَدَّةٍ وَحُبٍّ، وَالرَّجُلُ وَاقِفٌ يَنْتَظِرُ أَنْ يَنْتَهِيَ «جُحَا» مِنْ زِيَارَتِهِ.

وَبَعْدَ أَنْ قَضَى «جُحَا» وَقْتَهُ انْصَرَفَ.

وَبَعْـــدَ أَيَّامٍ.. طَرَقَ «جُحَا» بَابَ الرَّجُلِ فِي مَوْعِدِ الْغَدَاءِ، فَفَتَحَ لَهُ الرَّجُلُ، فَأَسْـــرَعَ «جُحَا» إِلَى دَاخِلِ الدَّارِ حَيْثُ كَانَ الْمِسْـــمَارُ، وَأَخَذَ يَتَحَـــدَّثُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي وَيَنْظُرُ إِلَى الطَّعَامِ!!

فَدَعَاهُ الرَّجُلُ إِلَى طَعَامِهِ، فَأَسْرَعَ «جُحَا» لِالْتِهَامِ مَا حَضَرَ مِنَ الطَّعَامِ، ثُمَّ قَامَ إِلَى مِسْمَارِهِ يَشْكُرُهُ عَلَى حُسْنِ صَنِيعِهِ.

وَأَخَذَ «جُحَا» يُكَرِّرُ زِيَارَتَهُ لِمِسْمَارِهِ، وَيَخْتَارُ أَوْقَاتًا مُخْتَلِفَةً؛ فَأَحْيَانًا يُوقِظُ الرَّجُلَ مِنْ نَوْمِهِ فِي اللَّيْلِ، وَأَحْيَانًـــا يَجِيءُ إِلَيْهِ فِي وَقْتِ الطَّعَامِ، وَالرَّجُلُ لَا يُكَلِّمُهُ؛ لِأَنَّ بَيْنَهُمَا شَرْطًا رَضِيَ بِهِ الرَّجُلُ أَمَامَ الْقَاضِي.



وَأَحسَّ الرَّجُلُ أَنَّ حيَاتَهُ لَمْ تَعُدْ سَـــعِيدَةً في هَذَا الْبَيْتِ، وَسَبَّبَتْ لَهُ زِيَارَاتُ «جُحَا» الْمُتَكَرِّرَةُ ضِيقًا وَأَلَمًا.

فَاتَّفَقَ الرَّجُلُ مَعَ «جُحَا» عَلَى أَنْ يُعِيدَ لَهُ بَيْتَهُ مُقَابِلَ ثَمَنٍ يَسْتَوْفِيهِ مِنْهُ في أَيِّ وَقْتٍ يَشَـــاءُ، فَوَافَقَ «جُحَا» عَلَى ذَلِكَ وَاسْتَعَادَ دَارَهُ بِفَضْلِ مِسْمَارِهِ الَّذِي اشْتَرَطَ زِيَارَتَهُ في أَيِّ وَقْتٍ يَشَاءُ!!

حَقًّا.. إِنَّهُ مِسْمَارُ جُحَا.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:
يَعْرِفُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ.
فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ.
الْحَذَرُ يَمْنَعُ الْخَطَرَ.



اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ

يُضْرَبُ لِمَنْ يُحْسِنُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ فَيُكَافَأُ عَلَى إِحْسَانِهِ شَرًّا، وَيُسَاءُ إِلَيْهِ إِسَاءَةً كَبِيرَةً.

كَانَ رَجُلٌ عَلَى سَفَرٍ، يَرْكَبُ نَاقَتَهُ فِي الصَّحْرَاءِ، يَسِيرُ بِهَا نَهَارًا، وَيَسْتَرِيحُ لَيْلًا، يَلْجَأُ إِلَى مَنَاطِقِ الْعُشْبِ حِينًا، وَيَشْكُو حِينًا آخَرَ وَحْشَةَ الطَّرِيقِ وَجَدْبَ الْأَرْضِ.

وَذَاتَ يَوْمٍ.. رَأَى غُلَامًا فِي الطَّرِيقِ يَسِيرُ وَحْدَهُ، عَلَى قَدَمَيْهِ، تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ، وَفَوْقَ الرِّمَالِ الْمُلْتَهِبَةِ، فَرَقَّ لَهُ قَلْبُهُ، وَسَأَلَهُ إِلَى أَيْنَ يَقْصِدُ، فَأَخْبَرَهُ الْغُلَامُ بِاسْمِ الْمَدِينَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا، فَكَانَتْ هِيَ الْمَدِينَةَ نَفْسَهَا الَّتِي يَقْصِدُهَا الرَّجُلُ.

فَقَالَ الرَّجُلُ لِلْغُلَامِ: تَعَالَ مَعِي يَا وَلَدِي، وَشَارِكْنِي نَاقَتِي وَطَعَامِي.

فَسَعِدَ الْغُلَامُ، وَرَكِبَ مَعَ الرَّجُلِ نَاقَتَهُ، وَأَخَذَ يُشَارِكُهُ طَعَامَهُ.

ثُمَّ إِنَّهُمَا جَلَسَا يَسْتَرِيحَانِ فِي ظِلِّ رَبْوَةٍ، وَتَرَكَا النَّاقَةَ تَرْعَى مِمَّا فِي الصَّحْرَاءِ مِنْ عُشْبٍ أَخْضَرَ، ثُمَّ تَمَدَّدَ الرَّجُلُ لِيَأْخُذَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ، فَرَأَى النَّاقَةَ تَبْتَعِدُ عَنِ الْمَكَانِ، فَنَادَى الْغُلَامَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ لِيَعُودَ بِالنَّاقَةِ حَتَّى لَا تَذْهَبَ بَعِيدًا.

فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أُرِيدُكَ أَنْ تُعْطِيَنِي قَوْسًا أَرْمِي بِهَا صَيْدًا فِي الصَّحْرَاءِ، وَأَجِيءُ بِهِ لِنَأْكُلَهُ.

فَأَعْطَاهُ الرَّجُلُ مَا طَلَبَ، فَأَخَذَ الْغُلَامُ يَضَعُ السَّهْمَ فِي الْقَوْسِ، وَفَجْأَةً رَمَى بِهَا الرَّجُلَ وَهُوَ مُسْتَرْخٍ!! وَانْطَلَقَ الْغُلَامُ بَعِيدًا فَأَخَذَ الرَّاحِلَةَ وَأَخَذَ مَا بَقِيَ مِنَ الْمَتَاعِ وَالطَّعَامِ، وَمَضَى إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا.

وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ تَأْتِيَ الْإِصَابَةُ فِي كَتِفِ الرَّجُلِ، وَيَفْقِدَ وَعْيَهُ بَعْضَ الْوَقْتِ، ثُمَّ إِنَّهُ عَادَ إِلَى وَعْيِهِ، فَلَمْ يَجِدْ نَاقَتَهُ وَلَا مَتَاعَهُ، وَلَمْ يَجِدِ الْغُلَامَ كَذَلِكَ، فَأَخَذَ يُضَمِّدُ جُرْحَهُ وَيُطَهِّرُهُ، ثُمَّ نَهَضَ مِنْ مَكَانِهِ يَسِيرُ فِي الصَّحْرَاءِ، حَتَّى عَثَرَتْ عَلَيْهِ قَافِلَةٌ كَانَتْ تَمُرُّ فِي الطَّرِيقِ.

وَأَخَذَتْهُ الْقَافِلَةُ مَعَهَا، وَأَوْصَلَتْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يَقْصِدُهَا.

وَهُنَاكَ ذَهَبَ الرَّجُلُ إِلَى الْأَمِيرِ، وَقَصَّ عَلَيْهِ قِصَّتَهُ، فَأَمَرَ الْأَمِيرُ جُنُودَهُ أَنْ يَبْحَثُوا عَنْ هَذَا الْغُلَامِ، فَوَجَدُوهُ مُخْتَفِيًا فِي أَحَدِ الْكُهُوفِ وَمَعَهُ النَّاقَةُ وَالْمَتَاعُ.

وَأَتَى الْجُنُودُ بِالْغُلَامِ أَمَامَ الْأَمِيرِ، فَحَاكَمَهُ عَلَى فَعْلَتِهِ، وَأَمَرَ بِسَجْنِهِ؛ عِقَابًا لَهُ عَلَى خِيَانَتِهِ.

ثُمَّ الْتَفَتَ الْأَمِيرُ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ: لَقَدْ فَعَلْتَ الْإِحْسَانَ مَعَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْإِحْسَانَ!!

وحَقًّا.. اتَّقِ شَرَّ مَنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ!!

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَتَّقِيهِ النَّاسُ.

لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ.

كَلَامٌ كَالْعَسَلِ، وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ.

الطَّمَعُ يُذْهِبُ مَا جُمِعَ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَمَلَّكُهُ الطَّمَعُ وَيَسْتَوْلِي عَلَيْهِ الْجَشَعُ، فَيَعُودُ ذَلِكَ عَلَيْهِ بِالْخَسَارَةِ وَالضَّيَاعِ.

كَانَ يَعِيشُ فِي بَغْدَادَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يُسَمَّى «عَبْدَ اللَّهِ»، وَكَانَ يَمْلِكُ أَرْبَعِينَ جَمَلًا يَنْقُلُ عَلَيْهَا التِّجَارَةَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْمُدُنِ الْأُخْرَى.

وَفِي إِحْدَى رِحْلَاتِهِ نَقَلَ «عَبْدُ اللَّهِ» بَضَائِعَ مِنْ بَغْدَادَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَبَعْدَ أَنْ سَلَّمَهَا إِلَى أَصْحَابِهَا عَادَ بِجِمَالِهِ إِلَى بَغْدَادَ.

وَفِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِ اسْتَرَاحَ «عَبْدُ اللَّهِ» قَلِيلًا فِي ظِلِّ نَخْلَةٍ، فَرَاحَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ تَارِكًا جِمَالَهُ تَرْعَى فِي مَكَانٍ مُجَاوِرٍ كَثِيرِ الْعُشْبِ.

وَفَجْأَةً اسْتَيْقَظَ عَلَى صَوْتِ دَرْوِيشٍ يُنَادِي: يَا صَاحِبَ الْجِمَالِ.. يَا صَاحِبَ الْجِمَالِ!

هَبَّ «عَبْدُ اللَّهِ» مِنْ نَوْمِهِ وَاقِفًا، وَأَجَابَ: أَنَا هُنَا يَا مَنْ تُنَادِي.

وَأَقْبَلَ الدَّرْوِيشُ عَلَى «عَبْدِ اللَّهِ»، فَأَلْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَجَلَسَ إِلَيْهِ يُحَدِّثُهُ، ثُمَّ دَعَاهُ الدَّرْوِيشُ إِلَى مُشَارَكَتِهِ الطَّعَامَ، وَكَانَ «عَبْدُ اللَّهِ» يَشْعُرُ بِالْجُوعِ، فَأَكَلَا مَعًا وَشَبِعَا.

ثُمَّ قَالَ الدَّرْوِيشُ «لِعَبْدِ اللَّهِ»: إِنِّي أَرَاكَ رَجُلًا طَيِّبًا، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِأَمْرٍ خَاصٍّ.

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: تَفَضَّلْ يَا أَخِي، لَقَدْ أَكَلْنَا مَعًا، وَهَذَا يَكْفِي لِكَيْ نُصْبِحَ أَصْدِقَاءَ.

قَالَ الدَّرْوِيشُ: إِنَّنِي أَعْرِفُ مَكَانَ كَنْزٍ قَرِيبٍ مِنْ هُنَا.. فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ وَالْأَحْجَارِ الْكَرِيمَةِ مَا يَفُوقُ التَّصَوُّرَ، وَأُرِيدُ أَنْ أَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدِي، فَهَلْ تُسَاعِدُنِي؟

فَأَسْرَعَ «عَبْدُ اللَّهِ» يُجِيبُهُ: أَنَا فِي خِدْمَتِكَ، أَيْنَ هُوَ أَيُّهَا الدَّرْوِيشُ؟

قَالَ الدَّرْوِيشُ: لَنْ نَذْهَبَ إِلَيْهِ حَتَّى نَتَّفِقَ عَلَى الْأَجْرِ.

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: دَعِ الْأَجْرَ الْآنَ، فَسَوْفَ نَتَحَدَّثُ فِيهِ بَعْدَ أَنْ نَنْقُلَ الْكَنْزَ.

وَافَقَ الدَّرْوِيشُ «عَبْــدَ اللَّهِ»، وَانْطَلَقَا حَيْثُ مَكَانُ الْكَنْــزِ، وَتَعَاوَنَا مَعًا عَلَى رَفْعِ الصَّخْرَةِ الَّتِي تَسُــدُّ بَابَهُ، فَإِذَا بِهِ كَنْزٌ كَبِيرٌ فِيهِ صَنَادِيقُ كَثِيرَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِكُلِّ شَــيْءٍ ثَمِينٍ، وَتَعَاوَنَا مَعًا فِي نَقْلِ مُحْتَوَيَاتِ الْكَنْزِ فَوْقَ الْجِمَالِ الْأَرْبَعِينَ.

ثُمَّ قَالَ الدَّرْوِيشُ «لِعَبْدِ اللَّهِ»: عِنْدِي فِكْرَةٌ يَا صَاحِبِي، لَقَدْ حَمَّلْنَا مَعًا مَا فِي الْكَنْزِ عَلَى جِمَالِكَ، وَأَنَا لَا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلِّهِ؛ لِهَذَا رَأَيْتُ أَنْ نَقْتَسِمَ مَعًا الصَّنَادِيقَ وَالْجِمَالَ؛ لَكَ عِشْرُونَ جَمَلًا بِمَا عَلَيْهَا، وَلِيَ الْعِشْرُونَ الْأُخْرَى بِمَا عَلَيْهَا.

فَرِحَ «عَبْدُ اللَّهِ» بِفِكْرَةِ الدَّرْوِيشِ وَأَخَذَ يُقَبِّلُهُ وَيَدْعُو لَهُ، وَأَقْبَلَ يُقَسِّمُ الْجِمَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ، وَانْطَلَقَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِجِمَالِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ.



وَلَمْ يَخْطُ «عَبْدُ اللَّهِ» خُطُوَاتٍ حَتَّى قَالَ لِنَفْسِهِ: إِنَّ هَذَا الدَّرْوِيشَ أَمْرُهُ عَجِيبٌ حَقًّا.. أَنَا لَا أَفْهَمُ لِمَاذَا ضَحَّى بِنِصْفِ الْكَنْزِ لِي؟! أَهُوَ رَجُلٌ طَيِّبٌ فِعْلًا؟! أَمْ أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا آخَرَ يُخْفِيهِ؟! وَلِهَذَا؛ عَلَيَّ أَنْ أَخْتَبِرَهُ، فَإِذَا كَانَ رَجُلًا طَيِّبًا حَقًّا وَلَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَالِ، فَسَيَظْهَرُ ذَلِكَ.

أَخَذَ «عَبْدُ اللَّهِ» يُنَادِي الدَّرْوِيشَ حَتَّى تَوَقَّفَ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَشْكُرَكَ عَلَى كَرَمِكَ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُودَ عِشْرِينَ جَمَلًا وَحْدَكَ، فَمَاذَا لَوْ أَعْطَيْتَنِي عَشَرَةً مِنْهَا لِتَتَيَسَّرَ لَكَ قِيَادَةُ الْعَشَرَةِ الْبَاقِيَةِ؟

قَالَ الدَّرْوِيشُ: أَتَظُنُّ ذَلِكَ يَا «عَبْدَ اللَّهِ»؟

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: أَنَا أَعْرِفُ جِمَالِي وَعِنَادَهَا.

فَقَبِلَ الدَّرْوِيشُ أَنْ يُعْطِيَ «عَبْدَ اللَّهِ» عَشَرَةَ جِمَالٍ أُخْرَى، لِيَكُونَ مَعَ «عَبْدِ اللَّهِ» ثَلَاثُونَ جَمَلًا مُحَمَّلًا بِالذَّهَبِ وَاللَّآلِئِ، وَمَعَ الدَّرْوِيشِ عَشَرَةُ جِمَالٍ!!

وَيُحَدِّثُ «عَبْدُ اللَّهِ» نَفْسَهُ مَرَّةً أُخْرَى: هَذَا الدَّرْوِيشُ رَجُلٌ ضَعِيفٌ لَا يُمْكِنُهُ مُقَاوَمَتِي، وَلَوْ أَنَّنِي أَخَذْتُ مِنْهُ الْعَشَرَةَ الْبَاقِيَةَ فَسَأُصْبِحُ أَغْنَى رَجُلٍ فِي بَغْدَادَ!! فَلْأَطْلُبْ مِنْهُ ذَلِكَ، وَإِذَا رَفَضَ تَخَلَّصْتُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الصَّحْرَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ يَسِيرٌ بِالنِّسْبَةِ لِي.

وَيُنَادِي «عَبْدُ اللَّهِ» الدَّرْوِيشَ مَرَّةً أُخْرَى، وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَاحِبِي أَعْرِفُ أَنَّكَ مِنْ رِجَالِ اللَّهِ، وَأَنْتَ تَكْرَهُ الْمَالَ، وَلَسْتَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَأَرَى أَنَّ الْجِمَالَ الْعَشَرَةَ الَّتِي مَعَكَ سَوْفَ تَشْغَلُكَ عَنِ الْعِبَادَةِ، وَلَنْ تُضِيفَ لَكَ شَيْئًا، فَامْنَحْهَا لِي أُتَاجِرْ فِيهَا وَأَعِشْ مِنْ خَيْرِهَا، وَلَكَ جَزَاءٌ كَرِيمٌ مِنَ اللَّهِ!!

وَيَضْحَكُ الدَّرْوِيشُ.. وَيَقُولُ «لِعَبْدِ اللَّهِ»: أَلَا يَكْفِيكَ مَا مَعَكَ يَا «عَبْدَ اللَّهِ»؟!

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: إِنَّهَا تَكْفِي، لَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ وَعَلَى صِلَتِكَ بِاللَّهِ!!

وَهُنَا قَالَ الدَّرْوِيشُ: مَعَكَ حَقٌّ يَا «عَبْدَ اللَّهِ»، خُذْ جِمَالَكَ، وَلْيُعَوِّضْنِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا.

وَسَعِدَ «عَبْدُ اللَّهِ» وَعَانَقَ الدَّرْوِيشَ، وَشَكَرَهُ عَلَى هَذَا الْكَرَمِ وَوَدَّعَهُ.

وَانْطَلَقَ كُلٌّ مِنْهُمَا إِلَى نَاحِيَةٍ، بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُ الدَّرْوِيشُ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ يَا «عَبْدَ اللَّهِ» فِي مَالِكَ، لَكِنْ إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِيمَا آتَاكَ مِنْ خَيْرٍ.

وَحدَّثَ «عَبْدُ اللَّهِ» نَفْسَهُ مُتَعَجِّبًا: أَمَعْقُولٌ أَنْ يَتَنَازَلَ الدَّرْوِيشُ هَكَذَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِسُهُولَةٍ؟! لَا بُدَّ أَنَّ لَدَيْهِ سِرًّا يُخْفِيهِ!! آهٍ.. تَذَكَّرْتُ.. لَقَدْ رَأَيْتُ الدَّرْوِيشَ وَنَحْنُ نَدْخُلُ إِلَى الْكَنْزِ يَلْتَقِطُ عُلْبَةً صَغِيرَةً وَيُسْرِعُ بِوَضْعِهَا فِي جَعْبَتِهِ، وَلَوْلَا أَنَّ بِهَا لُؤْلُؤَةً أَثْمَنَ مِمَّا فِي الْكَنْزِ جَمِيعِهِ لَمَا سَمَحَ لِي بِأَخْذِ جِمَالِي كُلِّهَا، لَا بُدَّ أَنْ آخُذَ مِنْهُ هَذِهِ الْعُلْبَةَ الثَّمِينَةَ.



وَنَادَى «عَبْدُ اللَّهِ» الدَّرْوِيشَ.. فَأَجَابَهُ الدَّرْوِيشُ: مَاذَا يَا «عَبْدَ اللَّهِ»؟! جِمَالُكَ مُحَمَّلَةٌ بِالْكَنْزِ مَعَكَ، فَمَاذَا تُرِيدُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا؟! أَخَذْتَ كُلَّ شَيْءٍ يَا «عَبْدَ اللَّهِ» وَتَرَكْتَنِي بِلَا شَيْءٍ!! فَأَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ؟

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: أَنَا لَا أَنْسَى لَكَ هَذَا الْفَضْلَ، لَكِنَّ شَيْئًا مَا يُحَيِّرُنِي!!

قَالَ الدَّرْوِيشُ: مَاذَا يَا «عَبْدَ اللَّهِ»؟!

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: حِينَمَا صَحِبْتَنِي لِنَحْمِلَ الْكَنْزَ الْتَقَطْتَ عُلْبَةً صَغِيرَةً وَوَضَعْتَهَا فِي جَعْبَتِكَ، وَلَوْلَا أَنَّ بِهَذِهِ الْعُلْبَةِ لُؤْلُؤَةً أَثْمَنَ مِمَّا فِي الْكَنْزِ جَمِيعِهِ لَمَا تَنَازَلْتَ عَنِ الْكَنْزِ بِهَذِهِ السُّهُولَةِ!!

ضَحِكَ الدَّرْوِيشُ وَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّكَ تُسِيءُ الظَّنَّ يَا «عَبْدَ اللَّهِ»!!

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: إِذَنْ أَرِنِي الْعُلْبَةَ، وَأَنَا أُحْسِنُ الظَّنَّ بِكَ!!

قَالَ الدَّرْوِيشُ: يَا «عَبْدَ اللَّهِ» لَيْسَ فِي الْعُلْبَةِ لُؤْلُؤَةٌ أَوْ شَيْءٌ ثَمِينٌ، لَكِنَّ فِيهَا سَائِلًا إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ قَطْرَةً فِي عَيْنِكَ الْيُمْنَى رَأَيْتَ نِصْفَ كُنُوزِ الْأَرْضِ، أَمَّا إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ قَطْرَةً فِي الْعَيْنِ الْيُسْرَى أُصِبْتَ بِالْعَمَى!!

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ»: أَنَا لَا أُصَدِّقُكَ، دَعْنِي أُجَرِّبْ بِنَفْسِي، أَخْرِجِ الْعُلْبَةَ وَقَطِّرْ مِنْهَا فِي عَيْنِي الْيُمْنَى.

أَخْرَجَ الدَّرْوِيشُ الْعُلْبَةَ مِنْ جَعْبَتِهِ، وَقَطَّرَ مِنْهَا فِي عَيْنِ «عَبدِ اللَّهِ» الْيُمْنَى، وَفُوجِئَ «عَبْدُ اللَّهِ» بِأَنَّهُ يَرَى كُنُوزًا جَمِيلَةً وَطَبِيعَةً خَلَّابَةً وَمَشَاهِدَ مُمْتِعَةً حَقًّا!!

قَالَ «عَبْدُ اللَّهِ» لِلدَّرْوِيشِ: إِنَّ عَيْنِي الْيُمْنَى تَرَى نِصْفَ جَمَالِ الدُّنْيَا، فَمِنَ الْمَنْطِقِيِّ إِذَا قَطَّرْتُ فِي عَيْنِي الْيُسْرَى أَنْ أَرَى كُلَّ جَمَالِ الدُّنْيَا.

فَحَذَّرَهُ الدَّرْوِيشُ مِنْ ذَلِكَ، وَقَالَ لَهُ: لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ أُصِبْتَ بِالْعَمَى.

وَثَارَ «عَبْدُ اللَّهِ» عَلَى الدَّرْوِيشِ، وَاتَّهَمَهُ بِالْكَذِبِ وَالْخِدَاعِ، وَالدَّرْوِيشُ يُحَذِّرُهُ أَلَّا يَطْمَعَ، وَأَلَّا يَكُونَ مُعَانِدًا.

أَخَذَ «عَبْدُ اللَّهِ» بِخِنَاقِ الدَّرْوِيشِ، وَأَوْقَعَهُ أَرْضًا وَأَخَذَ مِنْهُ الْعُلْبَةَ بِالْقُوَّةِ، ثُمَّ رَفَعَهَا

وَأَخَذَ يُقطِّرُ مِنْهَا في عَيْنِهِ الْيُسْـــرَى، وَهُوَ مُبْتَهِجٌ سَعِيدٌ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَرَى جَمَالَ الدُّنْيَا كُلَّهُ.

وَمَا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى غَامَتْ عَيْنَاهُ تَمَامًا وَأُصِيبَ بِالْعَمَى، فَصَارَ نَادِمًا عَلَى مَا فَعَلَ مَعَ الدَّرْوِيشِ الطَّيِّبِ.

لَقَدْ فَقَدَ بِطَمَعِهِ جِمَالَهُ وَكُنُوزَهُ وَعَيْنَيْهِ!!

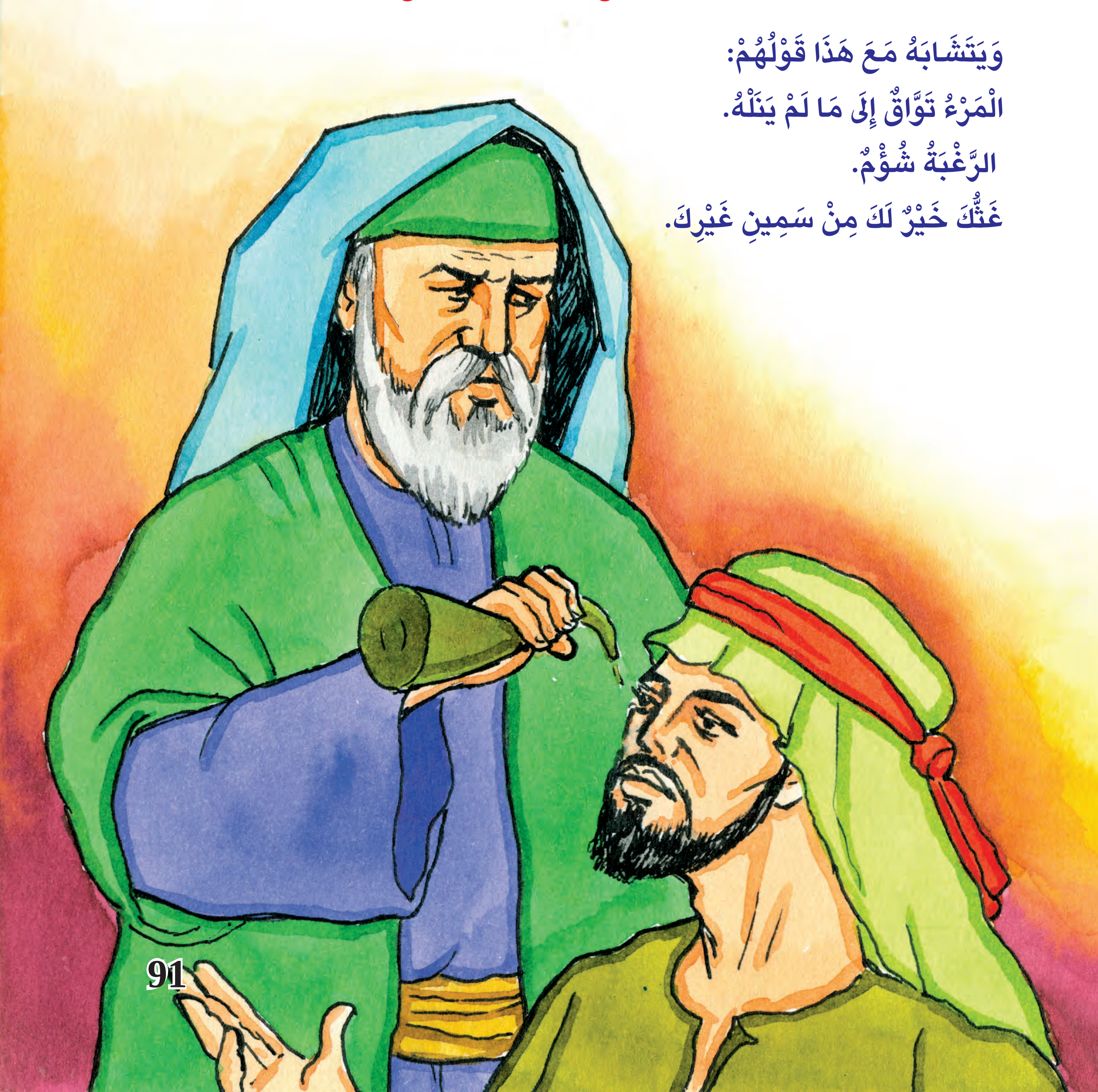
حَقًّا.. الطَّمَعُ يُذْهِبُ مَا جُمِعَ..

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْمَرْءُ تَوَّاقٌ إِلَى مَا لَمْ يَنَلْهُ.

الرَّغْبَةُ شُؤْمٌ.

غَثُّكَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَمِينِ غَيْرِكَ.



تَخَيَّرِ الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ

يُضْرَبُ فِي حِكْمَةِ الِاخْتِيَارِ وَالتَّفْكِيرِ فِي الْأُمُورِ بِكُلِّ وُجُوهِهَا.

جَاءَ رَجُلٌ غَرِيبٌ مَيْسُـــورُ الْحَالِ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى، وَكَانَ يَعْمَلُ بِالتِّجَارَةِ، فَأَرَادَ أَنْ يَجِدَ لِتِجَارَتِهِ سُوقًا فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَأَخَذَ يَبْحَثُ عَنْ دَارٍ يَسْكُنُهَا هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَوَلَدُهُ، حَتَّى وَجَدَهَا.

وَاسْتَقَرَّتِ الْأُسْـــرَةُ فِي الدَّارِ الْجَدِيدَةِ، وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ طَرَقَ الْبَابَ أَحَدُ الْجِيرَانِ، وَهَنَّأَ الرَّجُلَ عَلَى دَارِهِ الْجَدِيدَةِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَبْدَى لَهُ سَعَادَتَهُ بِجِيرَتِهِ.

ثُمَّ قَالَ الْجَارُ لِلتَّاجِرِ: أَعْلَمُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ أَوْصَى بِالْجَارِ، وَأَنَا أَسْكُنُ بِجِوَارِكَ تَمَامًا، أَيْ أَنَّنِي الْجَارُ الْأَوَّلُ لَكَ.

قَالَ التَّاجِرُ: وَأَنَا فِي خِدْمَتِكَ يَا سَيِّدِي.

قَالَ الْجَارُ: أُرِيدُ أَنْ تُقْرِضَنِي بَعْضَ الْمَالِ لِأَشْتَرِيَ بِهِ بَعْضَ حَاجِيَّاتِي!!

فَلَبَّى التَّاجِرُ طَلَبَ الْجَارِ، وَدَخَلَ إِلَى خِزَانَتِهِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا بَعْضَ الْمَالِ.

وَيُحَدِّثُ الْجَارُ نَفْسَهُ: يَبْدُو أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَيْسُورُ الْحَالِ فِعْلًا.. إِنَّنِي أَرَى صُنْدُوقًا صَغِيرًا فَوْقَ الْمَائِدَةِ، يَبْدُو أَنَّهُ صُنْدُوقٌ لِلْحُلِيِّ، مَاذَا لَوْ حَصَلْتُ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِي جَارِي؟! وَلَنْ يَجْرُؤَ أَنْ يَتَّهِمَنِي بِالسَّرِقَةِ.

وَيَهُمُّ الرَّجُلُ بِالْوُصُولِ إِلَى حَيْثُ مَكَانُ الصُّنْدُوقِ، لَوْلَا ظُهُـورُ التَّاجِرِ وَمَعَهُ كِيسُ النُّقُودِ، فَتَرَاجَعَ الرَّجُلُ عَنْ مُحَاوَلَتِهِ، وَأَخَذَ النُّقُودَ شَاكِرًا التَّاجِرَ وَانْصَرَفَ.

وَيَتَحَـــدَّثُ التَّاجِرُ مَعَ زَوْجَتِهِ عَنْ هَذَا الْجَارِ، وَكَيْفَ أَنَّهُ يَبْدُو فَقِيرًا، وَمِنْ وَاجِبِهِ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِ، وَوَافَقَتْ زَوْجَتُهُ عَلَى مَا فَعَلَ زَوْجُهَا.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي طَرَقَ الْجَارُ بَابَ جَارِهِ التَّاجِرِ، وَقَالَ لَهُ: اعْذُرْنِي يَا سَيِّدِي فَالْجَارُ لِلْجَارِ.



قَالَ التَّاجِرُ: فِي خِدْمَتِكَ يَا صَدِيقِي.

قَالَ الْجَارُ: لَا بُدَّ أَنَّ لَدَيْكَ جَلَابِيبَ جَدِيدَةً، وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُقَابِلَ الْوَالِيَ الْيَوْمَ لِأَعْرِضَ عَلَيْهِ حَالِي، وَأَنْتَ لَا تَرْضَى أَنْ أَذْهَبَ إِلَيْهِ هَكَذَا دُونَ أَنْ أَلْبَسَ جِلْبَابًا جَدِيدًا، تَقْدِيرًا وَاحْتِرَامًا لِمَوْلَانَا الْوَالِي، وَأَظُنُّكَ لَا تُمَانِعُ يَا صَدِيقِي أَنْ تُقْرِضَنِي جِلْبَابًا جَدِيدًا أَرُدُّهُ لَكَ بَعْدَ زِيَارَتِي لِمَوْلَانَا الْوَالِي!!

فَأَسْرَعَ التَّاجِرُ إِلَى إِحْدَى غُرَفِ بَيْتِهِ لِيُحْضِرَ لِجَارِهِ جِلْبَابًا جَدِيدًا.

وَحَاوَلَ الْجَارُ مَرَّةً أُخْرَى أَنْ يَسْرِقَ الصُّنْدُوقَ الْمَوْجُودَ فَوْقَ الْمَائِدَةِ، لَوْلَا عَوْدَةُ صَاحِبِ الْبَيْتِ فَجْأَةً وَفِي يَدِهِ الْجِلْبَابُ، فَأَخَذَ الْجَارُ الْجِلْبَابَ وَانْصَرَفَ.

وَحَذَّرَتِ التَّاجِرَ زَوْجَتُهُ مِنْ هَذَا الْجَارِ، فَسَوْفَ تَكْثُرُ مَطَالِبُهُ؛ فَبِالْأَمْسِ طَلَبَ مَالًا، وَالْيَوْمَ يَطْلُبُ جِلْبَابًا!! فَمَاذَا عَسَاهُ يَطْلُبُ فِي الْغَدِ؟!

وَجَاءَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، وَطَرَقَ الْجَارُ بَابَ التَّاجِرِ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَن يُعِيرَهُ دَابَّتَهُ لِيَذْهَبَ بِهَا إِلَى الْوَالِي؛ حَيْثُ لَا يَقْوَى الرَّجُلُ عَلَى الْمَشْيِ.

فَدَخَلَ التَّاجِرُ لِيُحْضِرَ الدَّابَّةَ، وَأَسْرَعَ الْجَارُ إِلَى الصُّنْدُوقِ لِيَلْتَقِطَهُ مِنْ مَكَانِهِ، وَيُسْرِعَ بِهِ إِلَى الْبَيْتِ!!

وَعَادَ التَّاجِرُ بِدَابَّتِهِ فَلَمْ يَجِدِ الْجَارَ، وَلَمْ يَجِدِ الصُّنْدُوقَ كَذَلِكَ!!

فَصَرَخَتْ زَوْجَتُهُ فِي وَجْهِهِ قَائِلَةً: أَلَمْ أُحَذِّرْكَ مِنْ هَذَا الْجَارِ اللَّعِينِ؟! لَا بُدَّ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهِ حَالًا وَتُحْضِرَ كُلَّ شَيْءٍ أَخَذَهُ.

قَالَ التَّاجِرُ: وَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَتَّهِمَهُ بِسَرِقَةِ الصُّنْدُوقِ؟!

وَفَجْأَةً ظَهَرَ الْجَارُ أَمَامَ الْبَابِ مُعْتَذِرًا: أَرْجُو أَنْ تَقْبَلُوا عُذْرِي؛ فَقَدْ سَمِعْتُ وَلَدِي يَصْرُخُ فِي الْبَيْتِ فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، وَأَعْطَيْتُهُ بَعْضَ اللَّيْمُونِ السَّائِلِ حَتَّى يَهْدَأَ.

وَلَمْ يَسْتَطِعِ التَّاجِرُ أَنْ يُوَاجِهَ جَارَهُ بِمَا فَعَلَهُ، فَقَدِ اسْتَمَرَّ الْجَارُ فِي حَدِيثِهِ: شُكْرًا لَكَ يَا سَيِّدِي عَلَى كَرَمِكَ وَفَضْلِكَ، فَإِنَّ مَوْعِدِي مَعَ الْوَالِي قَدِ اقْتَرَبَ.

وَأَخَذَ الْجَارُ دَابَّةَ التَّاجِرِ وَانْصَرَفَ وَسَطَ ذُهُولِ التَّاجِرِ وَزَوْجَتِهِ!! وَلَمْ يَجِدِ التَّاجِرُ مَفَرًّا مِنَ الْبَحْثِ عَنْ دَارٍ أُخْرَى؛ فَذَهَبَ إِلَى الدَّلَّالِ لِكَيْ يَدُلَّهُ عَلَى دَارٍ أُخْرَى، وَقَالَ لَهُ:

أَعْرِفُ أَنَّ الدُّورَ كَثِيرَةٌ فِي قَرْيَتِكُمْ، لَكِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَرَى مَنْ يَسْكُنُ جِوَارِي أَوَّلًا!!

تَعَجَّبَ الدَّلَّالُ مِنْ طَلَبِ التَّاجِرِ..

لَكِنَّ التَّاجِرَ أَعَادَ كَلَامَهُ قَائِلًا: لَا تَهُمُّنِي الدَّارُ يَا سَيِّدِي؛ لَكِنْ يَهُمُّنِي أَكْثَرَ أَنْ أَعْرِفَ مَنْ هُوَ جَارِي.. أَهُوَ رَجُلٌ كَرِيمٌ طَيِّبٌ، أَمْ رَجُلٌ سَـــيِّءٌ مُتَطَفِّلٌ؟! فَقَدْ أَصْبَحْتُ أُصَدِّقُ الْحِكْمَةَ الَّتِي تَقُولُ:

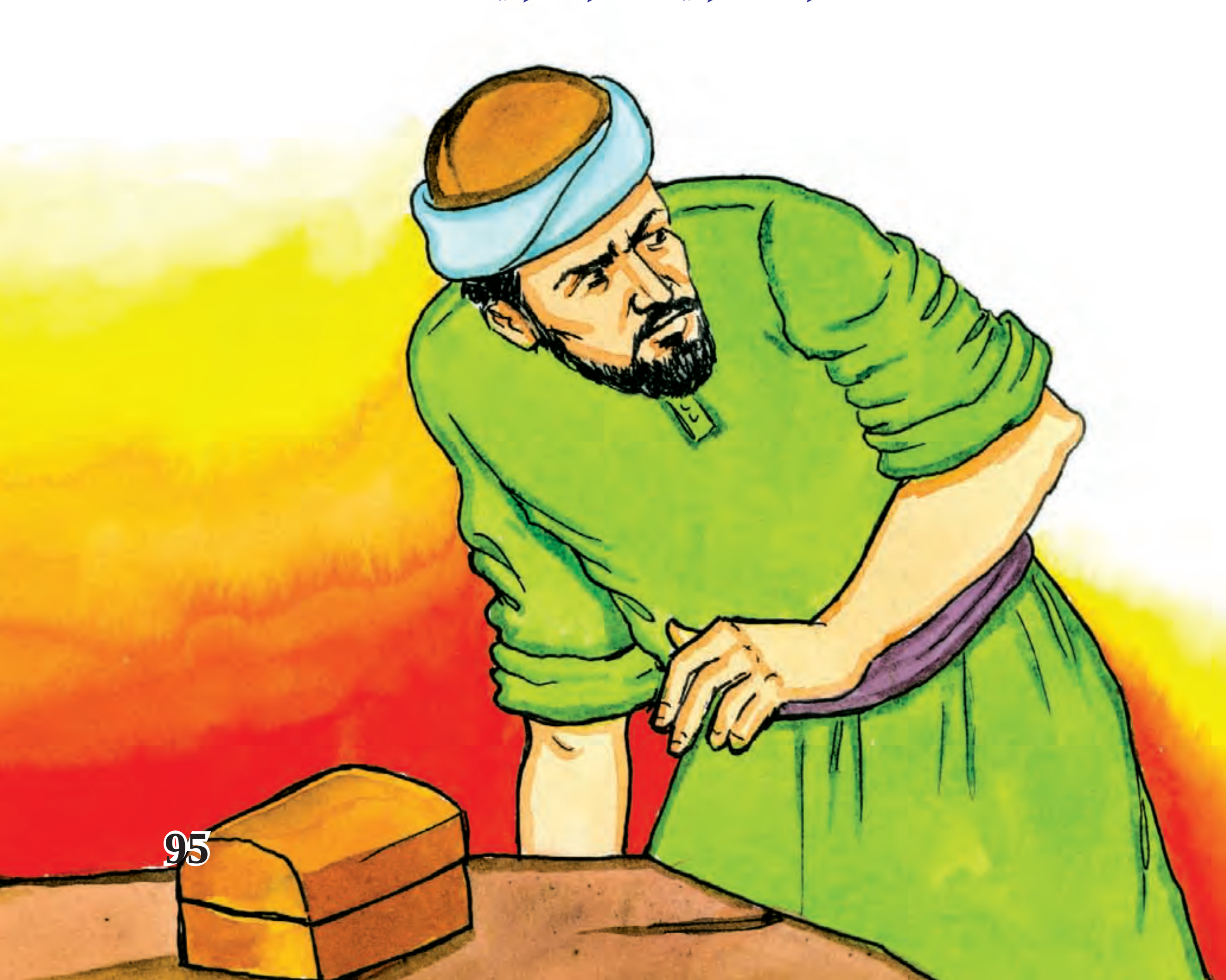
تَخَيَّرِ الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

الْجَارُ السُّوءُ قِطْعَةٌ مِنْ نَارٍ.

الرَّفِيقُ قَبْلَ الطَّرِيقِ.

بِعْتُ جَارِي، وَلَمْ أَبِعْ دَارِي.



مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا

وَهُوَ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ..
يُضْرَبُ فِي إِخْرَاجِ مَنْ يَغُشُّ النَّاسَ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

كَانَ مِنْ عَادَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ» ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنْ يَسِيرَ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ لَيْلًا يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ رَعِيَّتِهِ، وَيَطْمَئِنُّ بِنَفْسِهِ عَلَى الْحَالَةِ الْأَمْنِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا، إِحْسَاسًا مِنْهُ بِالْمَسْئُولِيَّةِ الَّتِي تَحَمَّلَهَا يَوْمَ أَنْ بَايَعَهُ النَّاسُ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ وَخَلِيفَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تَقَعُ لَهُ نَوَادِرُ وَطَرَائِفُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْجَوْلَاتِ اللَّيْلِيَّةِ الْمُعْتَادَةِ وَالْمُتَكَرِّرَةِ بِصِفَةٍ يَوْمِيَّةٍ، وَقَدْ حَفِظَ لَنَا التَّارِيخُ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ هَذِهِ النَّوَادِرِ الَّتِي تُبَيِّنُ عَظَمَةَ هَذَا الْخَلِيفَةِ وَحِكْمَتِهِ وَرَأْفَتِهِ بِرَعِيَّتِهِ، وَمَدَى مَا كَانَ يَتَمَتَّعُ بِهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ مِنْ بَصِيرَةٍ نَافِذَةٍ وَبَصَرٍ ثَاقِبٍ.

وَفِي إِحْدَى هَذِهِ الْجَوْلَاتِ، وَقَدْ خَيَّمَ السُّكُونُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَأَهْلِهَا، وَلَفَّ الظَّلَامُ شِعَابَهَا وَدُرُوبَهَا، وَخَلَتِ الشَّوَارِعُ وَالطُّرُقَاتُ إِلَّا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُخْلِصِينَ، إِذَا بِصَوْتٍ يَأْتِي مِنْ دَاخِلِ أَحَدِ الْبُيُوتِ يَشُقُّ هَذَا السُّكُونَ وَيَقْطَعُ صَمْتَ اللَّيْلِ الرَّهِيبِ:

ـ هَيَّا يَا ابْنَتِي اخْلِطِي اللَّبَنَ بِالْمَاءِ، فَقَدْ آذَنَ الْفَجْرُ بِالطُّلُوعِ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ وَيَعُجُّ السُّوقُ بِالْوَافِدِينَ، وَنُرِيدُ أَنْ نَرْبَحَ أَفْضَلَ مِنَ الْأَمْسِ!!

فَتَسَمَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «عُمَرُ» فِي مَكَانِهِ، وَأَصْغَى مُتَعَجِّبًا، وَكَذَلِكَ فَعَلَ كُلُّ مَنْ كَانُوا مَعَهُ، وَإِذَا بِصَوْتِ الِابْنَةِ يُجِيبُ صَوْتَ الْأُمِّ:

ـ وَلَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ.

فَأُعْجِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بِهَذَا الرَّدِّ الْمُفْعَمِ بِالْحِسِّ الْإِيمَانِيِّ الْمُرْهَفِ وَالْوَازِعِ الدِّينِيِّ الْمُتَحَفِّزِ، وَكَذَلِكَ أُعْجِبَ كُلُّ مَنْ كَانُوا مَعَهُ، وَتَرَقَّبُوا جَمِيعًا رَدَّ الْأُمِّ الَّتِي قَالَتْ:



ـ يَا بُنَيَّتِي إِنَّنَا فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَانَا فِيهِ «عُمَرُ»، فَافْعَلِي مَا أَمَرْتُكِ بِهِ!!

فَبَدَتْ عَلَى وَجْهِ «عُمَرَ» وَمَنْ مَعَهُ عَلَامَاتُ الْأَسَفِ وَالْحَسْرَةِ، وَلَكِنَّ رَدَّ الْبِنْتِ الْمُؤْمِنَةِ وَالْفَتَاةِ الْأَمِينَةِ أَعَادَ الْبَسْمَةَ إِلَى وُجُوهِهِمْ، وَالطُّمَأْنِينَةَ إِلَى نُفُوسِهِمْ، حَيْثُ قَالَتْ:

ـ إِنْ كَانَ «عُمَرُ» لَا يَرَانَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَرَانَا، وَمَا كُنْتُ لِأُطِيعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْعَلَنِ وَأَعْصِيَهُ فِي السِّرِّ!!

فَكَبَّرَ «عُمَرُ» وَمَنْ مَعَهُ إِعْجَابًا بِدِينِ هَذِهِ الْفَتَاةِ وَأَمَانَتِهَا، وَحَمِدُوا اللَّهَ أَنَّهَا رَدَّتْ أُمَّهَا عَنْ غِشِّهَا لِلْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ قَالَ: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»، ثُمَّ أَمَرَ «عُمَرُ» ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَاحِدًا مِمَّنْ مَعَهُ بِأَنْ يَضَعَ عَلَامَةً عَلَى تِلْكَ الدَّارِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ أَهْلِهَا فِي الصَّبَاحِ.

وَمَا إِنِ انْتَهَى «عُمَرُ» مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ حَتَّى سَأَلَ عَنْ هَذِهِ الدَّارِ وَعَنْ أَهْلِهَا، وَعَلِمَ أَنَّ هَذِهِ الْفَتَاةَ مَا زَالَتْ بِكْرًا لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَذَهَبَ يَخْطُبُهَا لِابْنِهِ «عَاصِم» مُكَافَأَةً لَهَا عَلَى أَمَانَتِهَا، وَظَفَرًا بِذَاتِ الدِّينِ، كَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ...»، وَهَذَا هُوَ جَزَاءُ الْأَمَانَةِ فِي الدُّنْيَا، وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَأَبْقَى.

وَسَارَعَ «عُمَرُ» ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بِتَزْوِيجِ ابْنِهِ «عَاصِم» مِنْ هَذِهِ الْفَتَاةِ، وَقَدْ أَنْجَبَ هَذَا الزَّوَاجُ بِنْتًا كَانَتْ أُمًّا لِخَامِسِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ «عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ»، وَهَذَا هُوَ نَتَاجُ الْأَمَانَةِ، حَيْثُ الشَّرَفُ وَالْفَخَارُ فِي الدُّنْيَا وَفِي دَارِ الْقَرَارِ، أَمَّا الْغِشُّ وَالْخِدَاعُ فَقَدْ قَالَ عَنْهُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ:

مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا..

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

فَمٌ يُسَبِّحُ، وَيَدٌ تَذْبَحُ.

مَا كُلُّ بَارِقَةٍ تَجُودُ بِمَائِهَا.

آفَةُ الْحَدِيثِ الْكَذِبُ.



مَنْ خَانَ.. هَانَ

يُضْرَبُ فِيمَنْ يَخُونُ عَمَلَهُ أَوْ أَمَانَتَهُ فَيَلْقَى الْهَوَانَ وَالصَّغَارَ.

كَانَ يَا مَا كَانَ.. في سَالِفِ الزَّمَانِ.. كَانَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ الْعَرَبِ في عِلْمِ الْكِيمْيَاءِ وَالْأَدْوِيَةِ يَسْهَرُ لَيْلَهُ حَتَّى سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ يَبْتَكِرُ أَنْوَاعًا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تُعَالِجُ الْمَرْضَى.

وَكَعَادَةِ الْعُلَمَاءِ كَانَ حَرِيصًا عَلَى أَنْ تَبْقَى تَجَارِبُهُ سِـــرِّيَّةً حَتَّى لَا يَسْبِقَهُ أَحَدٌ إِلَى مَعْرِفَتِهَا، وَكَانَ هَذَا الْعَالِمُ كَبِيرَ السِّنِّ، لَكِنَّهُ كَانَ يَرْفُضُ أَنْ يُسَاعِدَهُ أَحَدٌ.

وَسَـــأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ ذَاتَ يَوْمٍ: لِمَاذَا لَا تَتَّخِذُ لِنَفْسِكَ مُسَاعِدًا في عَمَلِكَ يُرِيحُكَ مِنْ هَذَا التَّعَبِ؟!

رَدَّ عَلَيْهَا زَوْجُهَا الْعَالِمُ: لَوْ أَنَّنِي فَعَلْتُ ذَلِكَ لَتَسَرَّبَتْ كُلُّ أَسْرَارِي، وَلَسُرِقَتْ أَفْكَارِي.

لَكِنَّ الزَّوْجَةَ أَخَذَتْ تُقْنِعُهُ بِأَنْ يَسْتَخْدِمَ أَحَدَ تَلَامِيذِهِ الَّذِينَ يَثِقُ بِهِمْ، وَهُمْ كَثِيرُونَ يُحِبُّونَهُ، حَتَّى وَافَقَ عَلَى أَحَدِهِمْ.

وَبَدَأَ الشَّابُّ يُسَـــاعِدُ الْعَالِمَ الْكَبِيرَ في إِخْلَاصٍ، وَكَانَ لَا يَعُودُ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا في سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، بِحَيْثُ لَا يُقَابِلُ أَحَدًا غَيْرَ هَذَا الْعَالِمِ.

وَذَاتَ مَرَّةٍ أَحَبَّ الْعَالِمُ أَنْ يَضَعَ مُسَـــاعِدَهُ في اخْتِبَـــارٍ، فَأَحْضَرَ لَهُ مَظْرُوفًا كَبِيرًا وَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ يَا بُنَيَّ.. هَذِهِ رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ وَخَطِيرَةٌ؛ فِيهَا أَسْرَارٌ عِلْمِيَّةٌ لَا يَعْرِفُهَا أَحَدٌ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَحْمِلَهَا إِلَى صَدِيقِي الْعَالِمِ الَّذِي يَعِيشُ في مِنْطَقَةِ الْجَنُوبِ.

وَأَخَذَ الْعَالِمُ يُحَذِّرُ مُسَـــاعِدَهُ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا، أَوْ أَنْ يَتْرُكَهَا مِنْ يَدِهِ، أَوْ أَنْ يُعْطِيَهَا إِلَى أَيِّ إِنْسَانٍ آخَرَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى صَدِيقِهِ الْعَالِمِ.

وَتَوَافَقَ أَنْ هَبَّتْ رِيَاحٌ شَـــدِيدَةٌ في الْيَوْمِ الَّذِي بَدَأَ فِيهِ الْمُسَاعِدُ رِحْلَتَهُ، فَأَسْرَعَ إِلَى أَحْضَانِ رَبْوَةٍ في الصَّحْرَاءِ يَحْتَمِي فِيهَا مِنْ شِدَّةِ الرِّيَاحِ.

وَأَخَذَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلًا: مَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ في هَذَا الْمَظْرُوفِ الْكَبِيرِ لِكَيْ يُرْسِلَنِي الْعَالِمُ بِهِ في هَذَا الْجَوِّ الْعَاصِفِ؟!

إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ بِهِ أَسْــرَارًا عِلْمِيَّةً خَطِيرَةً، فَلِمَاذَا لَا أَعْرِفُهَا أَنَا كَذَلِكَ، لَقَدْ أَصْبَحْتُ



مُسَاعِدَهُ، وَمِنْ حَقِّي أَنْ أَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَفْتَحَ هَذَا الْمَظْرُوفَ.

وَكَادَ الشَّـــابُّ يَفْتَحُ الْمَظْرُوفَ، لَوْلَا أَنَّهُ تَذَكَّرَ تَحْذِيرَ الْعَالِمِ لَهُ أَلَّا يَفْتَحَهُ أَوْ يُعْطِيَهُ لِأَحَدٍ غَيْرِ صَدِيقِهِ الْعَالِمِ.

لَكِنَّ الشَّـــابَّ أَزَاحَ عَنْ خَاطِرِهِ هَذَا التَّحْذِيرَ، وَأَخَذَ يَفْتَحُ الْمَظْرُوفَ فِي غَيْظٍ شَدِيدٍ، فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَوْرَاقٍ بَيْضَاءَ لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مَكْتُوبَةٌ!!

وَهُنَا اشْتَدَّ غَيْظُ الشَّابِّ وَقَالَ لِنَفْسِهِ: أَيُرْسِلُنِي هَذَا الْعَجُوزُ فِي هَذَا الْجَوِّ الْعَاصِفِ وَيَسْخَرُ مِنِّي هَكَذَا؟! وَاللَّهِ سَوْفَ أَعُودُ إِلَيْهِ وَأُحَاسِبُهُ عَلَى فَعْلَتِهِ هَذِهِ.

وَانْطَلَقَ الشَّابُّ عَائِدًا إِلَى بَيْتِ الْعَالِمِ، وَطَرَقَ الْبَابَ بِشِدَّةٍ، فَفَتَحَ لَهُ الْعَالِمُ مُنْدَهِشًا، وسَأَلَهُ: لِمَاذَا لَمْ تَذْهَبْ يَا وَلَدِي؟!

فَرَدَّ عَلَيْهِ الشَّـــابُّ سَاخِرًا: تَفَضَّلْ مَظْرُوفَكَ أَيُّهَا الْعَالِمُ الْكَبِيرُ.. لَكِنِّي أَسْأَلُكَ فَقَطْ: لِمَاذَا تَفْعَلُ بِي هَكَذَا؟!

قَالَ الْعَالِمُ: مَاذَا فَعَلْتُ يَا وَلَدِي؟! لَقَدْ حَمَّلْتُكَ أَمَانَةَ الرِّسَالَةِ.. هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ.

قَالَ الشَّابُّ: وَقُلْتَ إِنَّهَا رِسَالَةٌ مُهِمَّةٌ وَخَطِيرَةٌ.

قَالَ الْعَالِمُ: نَعَمْ يَا وَلَدِي.

قَالَ الشَّـــابُّ: ثُمَّ تَكُونُ هَذِهِ الرِّسَالَةُ وَرَقًا أَبْيَضَ لَيْسَ فِيهِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ.. وَتُرْسِلُنِي بِهَا فِي هَذَا الْجَوِّ الْعَاصِفِ!!

وَهُنَا صَاحَ الْعَالِمُ: لَقَدْ كَانَ الْمَظْرُوفُ مُغْلَقًا يَا وَلَدِي، فَكَيْفَ عَرَفْتَ؟!

قَالَ الشَّابُّ: فَتَحْتُهُ لِأَتَأَكَّدَ وَأَعْرِفَ هَذِهِ الْأَسْرَارَ الْخَطِيرَةَ.

وَهُنَا اسْـــتَدْعَى الْعَالِمُ زَوْجَتَهُ، وَقَالَ لَهَا: أَرَأَيْتِ..؟! لَقَدْ خَانَ الشَّابُّ أَمَانَتَهُ وَعَمَلَهُ، وَأَخْفَقَ فِي أَوَّلِ امْتِحَانٍ لَهُ. إِنَّكَ يَا وَلَدِي غَيْرُ أَمِينٍ، وَلَا حَاجَةَ لِي بِكَ.

فَمَنْ خَانَ هَانَ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

مَنْ خَادَعَ النَّاسَ خُدِعَ.

مَنْ جَهِلَ مَوَاطِئَ قَدَمِهِ عَثَرَ بِدَوَاعِي نَدَمِهِ.

مَنْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ.. كَذَبَ تَقْدِيرُهُ.



لَا يَضِيعُ حَقٌّ وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ

يُضْرَبُ لِمَنْ يَتَمَسَّكُ بِحَقِّهِ وَلَا يَتَنَازَلُ عَنْهُ حَتَّى يَنَالَهُ.

يُحْكَى أَنَّ أَحَدَ الْأُمَرَاءِ كَانَ يَعِيشُ فِي قَصْرٍ كَبِيرٍ لَهُ حَدَائِقُ وَاسِعَةٌ وَحُقُولٌ مُمْتَدَّةٌ نَاضِرَةٌ. وَكَانَتْ هُنَاكَ سَيِّدَةٌ فَقِيرَةٌ عَجُوزٌ تُقِيمُ فِي كُوخٍ صَغِيرٍ بِجَانِبِ سُورِ الْقَصْرِ الْعَظِيمِ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ كَانَتِ ابْنَةُ الْأَمِيرِ تَلْعَبُ مَعَ مُرَبِّيَتِهَا بِالْكُرَةِ، فَسَقَطَتِ الْكُرَةُ دَاخِلَ كُوخِ الْمَرْأَةِ الْعَجُوزِ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ، فَاسْتَيْقَظَتْ مَذْعُورَةً مُتَأَلِّمَةً، وَخَرَجَتْ مِنْ كُوخِهَا وَأَخَذَتْ تَصِيحُ فِي وَجْهِ ابْنَةِ الْأَمِيرِ وَمُرَبِّيَتِهَا، وَمَزَّقَتِ الْكُرَةَ وَأَلْقَتْهَا بَعِيدًا.

فَعَادَتِ ابْنَةُ الْأَمِيرِ بَاكِيَةً إِلَى أَبِيهَا تَشْكُو لَهُ السَّيِّدَةَ الْعَجُوزَ وَمَا فَعَلَتْهُ مَعَهَا، وَتُطَالِبُهُ أَنْ يَهْدِمَ كُوخَهَا وَيَطْرُدَهَا مِنْ مَكَانِهَا.

وَاسْتَدْعَى الْأَمِيرُ وَزِيرَهُ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي الْأَمْرِ، وَيَعْرِضَ عَلَى الْعَجُوزِ مَا يَرَاهُ مِنْ مَالٍ لِكَيْ تَرْحَلَ.

فَذَهَبَ الْوَزِيرُ إِلَى السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ، وَقَالَ لَهَا: إِنَّ الْأَمِيرَ يَا سَيِّدَتِي يُرِيدُ أَنْ يَهْدِمَ سُورَ الْقَصْرِ، وَيَضُمَّ إِلَى الْحَدِيقَةِ جُزْءًا آخَرَ مِنَ الْأَرْضِ.

قَالَتِ السَّيِّدَةُ: وَمَا شَأْنِي أَنَا بِهَذَا أَيُّهَا الْوَزِيرُ؟!

قَالَ الْوَزِيرُ: كُوخُكِ يَا سَيِّدَتِي.. إِنَّهُ مُقَامٌ فَوْقَ الْأَرْضِ الَّتِي سَتُضَمُّ إِلَى الْحَدِيقَةِ، لِهَذَا نَسْأَلُكِ عَمَّا تُرِيدِينَهُ مِنْ مَالٍ تَعْوِيضًا عَنِ الْكُوخِ!!

وَهُنَا صَاحَتِ السَّيِّدَةُ فِي وَجْهِ الْوَزِيرِ: لَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةَ يَا سَيِّدِي، لَكِنَّهَا رَغْبَةُ الْأَمِيرَةِ الصَّغِيرَةِ الْمُدَلَّلَةِ، إِنَّهَا تُرِيدُ أَنْ أَرْحَلَ مِنْ هُنَا؛ لِأَنَّنِي طَالَبْتُهَا بِحَقِّي فِي الْهُدُوءِ وَالرَّاحَةِ.



وَلَمْ يَجِدِ الْوَزِيرُ حَلًّا إِلَّا أَنْ يُضَاعِفَ لَهَا الْمَالَ خَمْسَةَ أَضْعَافٍ لِكَيْ تَرْحَلَ السَّيِّدَةُ بِكُوخِهَا، لَكِنَّهَا رَفَضَتْ هَذَا الْإِغْرَاءَ وَقَالَتْ لِلْوَزِيرِ: قُلْتُ لَكَ لَا أُرِيدُ مَالًا.. وَسَأَشْكُوكَ إِلَى الْقَاضِي، وَلَنْ أَتَنَازَلَ عَنْ حَقِّي.

وَصَمَتَ الْوَزِيرُ قَلِيلًا، وَتَصَوَّرَ أَنَّ الْوُقُوفَ أَمَامَ الْقَاضِي سَيَكُونُ فِي صَالِحِ الْأَمِيرِ، وَلَنْ يَكُونَ أَبَدًا فِي صَالِحِ تِلْكَ السَّيِّدَةِ الْفَقِيرَةِ، وَلِهَذَا وَافَقَ الْوَزِيرُ السَّيِّدَةَ عَلَى الِاحْتِكَامِ لِلْقَاضِي.

لَكِنَّ السَّيِّدَةَ قَالَتْ: إِنَّ الْقَضِيَّةَ لَيْسَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَكِنَّهَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْأَمِيرِ.

وَيَقِفُ الْوَزِيرُ، وَالسَّيِّدَةُ الْفَقِيرَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي.

قَالَ الْوَزِيرُ لِلْقَاضِي: أَنَا لَا أَظْلِمُ هَذِهِ السَّيِّدَةَ، سَأُعْطِيهَا مَالًا وَأُعَوِّضُهَا عَنْ كُوخِهَا بِأَيِّ قَدْرٍ مِنَ الْمَالِ حَتَّى خَمْسَةِ أَضْعَافِ ثَمَنِ الْكُوخِ.

لَكِنَّ السَّيِّدَةَ تُصِرُّ عَلَى حُضُورِ الْأَمِيرِ نَفْسِهِ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهَا الْقَاضِي أَنْ تَرْضَى بِمَا عَرَضَهُ الْوَزِيرُ، لَكِنَّهَا أَبَتْ إِلَّا أَنْ يَحْضُرَ خَصْمُهَا أَمَامَ الْقَاضِي.

وَأَمَامَ إِصْرَارِ السَّيِّدَةِ لَمْ يَجِدِ الْقَاضِي بُدًّا مِنْ أَنْ يُحْضِرَ الْأَمِيرَ. فَجَاءَ الْأَمِيرُ وَالسَّيِّدَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي وَعَرَضَ عَلَيْهَا أَنْ يَدْفَعَ لَهَا مَا تُرِيدُ.

لَكِنَّ السَّيِّدَةَ قَالَتْ: لَنْ أَتَنَازَلَ عَنْ كُوخِي؛ فَهَذَا الْكُوخُ قَضَيْتُ فِيهِ حَيَاتِي، وَأَصْبَحَ جُزْءًا مِنِّي وَأَصْبَحْتُ جُزْءًا مِنْهُ، وَهَذَا حَقِّي، وَمَنْ يَتَنَازَلْ عَنْ حَقِّهِ فَلَا كَرَامَةَ لَهُ.

وَهُنَا فَهِمَ الْقَاضِي مَا تَعْنِيهِ السَّيِّدَةُ؛ فَقَدْ ظَلَّتْ وَرَاءَ حَقِّهَا إِلَى النِّهَايَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْقَاضِي أَنْ يُوَقِّعَ عَلَيْهَا حُكْمًا ظَالِمًا، بَلْ حَكَمَ لَهَا بِبَقَائِهَا فِي الْكُوخِ.

وَتَرَاجَعَ الْأَمِيرُ عَنْ رَغْبَتِـــهِ فِي رَحِيلِهَا، وَطَلَبَ إِلَى ابْنَتِهِ أَنْ تَذْهَبَ إِلَيْهَا وَتَعْتَذِرَ عَمَّا فَعَلَتْ.

ثُمَّ قَالَ الْقَاضِي مُعْجَبًا بِحِكْمَةِ وَإِصْرَارِ السَّيِّدَةِ:

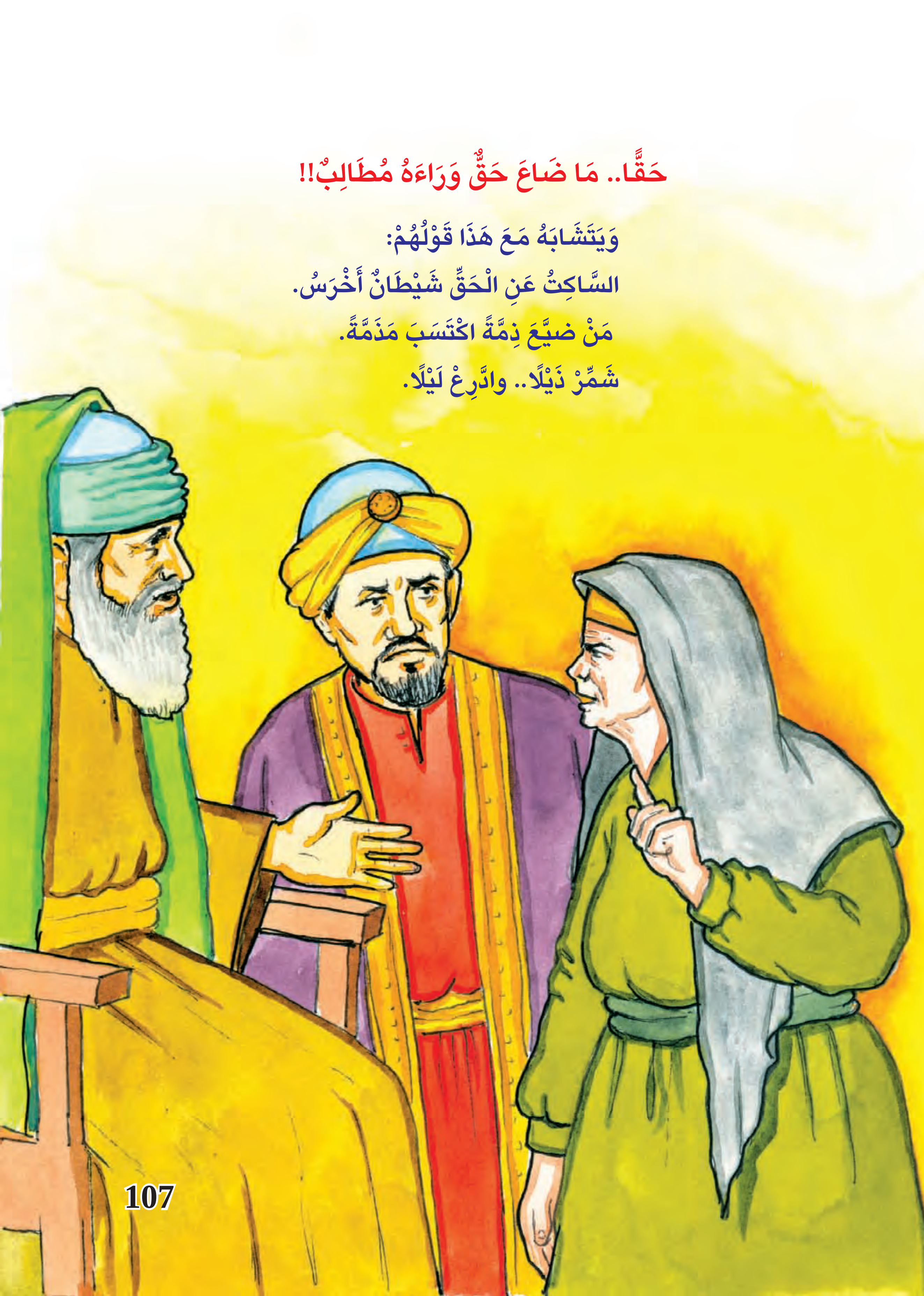
حَقًّا.. مَا ضَاعَ حَقٌّ وَرَاءَهُ مُطَالِبٌ!!

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

السَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ.

مَنْ ضيَّعَ ذِمَّةً اكْتَسَبَ مَذَمَّةً.

شَمِّرْ ذَيْلًا.. وادَّرِعْ لَيْلًا.



مُكْرَهٌ أَخُوكَ لَا بَطَلٌ

يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ لَا مَفَرَّ لَهُ مِنْهَا.. فَيَسْتَسْلِمُ لَهَا قَانِعًا طَائِعًا.. وَيُسَلِّمُ أَمْرَهُ لِلهِ.

يُحْكَى عَنْ أَحَدِ الْوُلَاةِ الْعُتَاةِ أَنَّهُ احْتَاجَ فِي إِحْدَى السِّنِينَ إِلَى الْمَالِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي خِزَانَتِهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

وَاجْتَمَعَ الْوَالِي مَعَ أَصْحَابِ الشُّورَى وَالرَّأْيِ، فَلَمْ يَصِلُوا إِلَى حَلٍّ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.. وَانْفَرَدَ بِالْوَالِي أَحَدُ وُزَرَائِهِ، وَكَانَ قَدِ اشْتَهَرَ بِالْمَكْرِ وَالدَّهَاءِ، وَقَالَ لَهُ: مِنْ حَقِّكَ يَا مَوْلَايَ أَنْ تَفْرِضَ ضَرَائِبَ عَلَى النَّاسِ.

رَدَّ عَلَيْهِ الْوَالِي قَائِلًا: إِنَّنِي أَخْشَى نَتِيجَةَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ فَرَضْنَا مِنْ قَبْلُ ضَرَائِبَ كَبِيرَةً عَلَى النَّاسِ، وَكَادَتْ تَحْدُثُ ثَوْرَةٌ.

وَطَالَ الْحِوَارُ بَيْنَهُمَا حَتَّى اتَّفَقَا عَلَى حِيلَةٍ سِرِّيَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا غَيْرُهُمَا، وَبَدَآ فِي التَّنْفِيذِ. أَحْضَرَ الْوَزِيرُ لِلْوَالِي كَبْشًا صَغِيرًا وَصَنَعَ لَهُ سَرْجًا وَرِكَابًا وَشَكِيمَةً وَلِجَامًا.. كَأَنَّهُ حِصَانٌ، وَوَضَعَهُ الْوَالِي فِي غُرْفَةٍ مُجَاوِرَةٍ لِمَجْلِسِهِ.

ثُمَّ أَرْسَلَ يَسْتَدْعِي أَعْيَانَ الْبَلْدَةِ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ لِأَمْرٍ مُهِمٍّ.. وَأَقَامَ الْوَالِي لَهُمْ وَلِيمَةً كَبِيرَةً ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: يَا أَعْيَانَ الْبَلْدَةِ وَأَثْرِيَاءَهَا.. لَقَدْ وَصَلَ إِلَيَّ مُنْذُ أَيَّامٍ أَمْرٌ مِنْ حَضْرَةِ السُّلْطَانِ يَطْلُبُ مِنَّا أَنْ نَضَعَكُمْ فِي اخْتِبَارٍ لِلذَّكَاءِ، فَإِنْ ثَبَتَ أَنَّكُمْ أَذْكِيَاءُ مَاهِرُونَ أَكْرَمْنَاكُمْ، وَإِنْ ثَبَتَ عَكْسُ ذَلِكَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا لِحَضْرَةِ السُّلْطَانِ غَرَامَةً قَدْرُهَا عَشَرَةُ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ!

فَوَافَقَ أَعْيَانُ الْبَلْدَةِ وَأَثْرِيَاؤُهَا مُكْرَهِينَ، وَأَبْدَوْا طَاعَتَهُمْ لِأَمْرِ الْوَالِي مُرْغَمِينَ.

ثُمَّ نَادَى الْوَالِي حَاجِبَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا غُلَامُ.. أَحْضِرْ مَا عِنْدَكَ.

فَأَسْـــرَعَ الْغُلَامُ بِإِحْضَارِ الْكَبْشِ وَعَلَيْهِ عُدَّةُ الْحِصَانِ مِنْ سَرْجٍ وَرِكَابٍ وَشَكِيمَةٍ وَلِجَامٍ.

فَتَعَجَّبَ الْحَاضِرُونَ، لَكِـــنَّ الْوَالِي فَاجَأَهُمْ بِقَوْلِهِ: انْظُـــرُوا إِلَى هَذَا الَّذِي أَمَامَكُمْ وَأَخْبِرُونِي.. مَا هُوَ!!

فَقَالَ الْجَمِيعُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ: هَذَا كَبْشٌ.



وَهُنَا صَاحَ الْوَالِي: لَقَدْ أَخْطَأْتُمْ.. أَهَذَا كَبْشٌ يَا أَغْبِيَاءُ؟! هَيَّا.. لِيَدْفَعْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ جَزَاءَ جَهْلِكُمْ وَغَبَائِكُمْ!!

فَأَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُكْرَهِينَ!!

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي.. اسْتَدْعَى تُجَّارَ الْبَلْدَةِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ شَيْخُ التُّجَّارِ، وَفَعَلَ مَعَهُمْ مِثْلَ مَا فَعَلَ مَعَ الْأَعْيَانِ وَالْأَثْرِيَاءِ، ثُمَّ أَحْضَرَ لَهُمُ الْكَبْشَ وَسَأَلَهُمْ: مَا هَذَا؟

فَقَالَ بَعْضُ التُّجَّارِ لِبَعْضِهِمْ: لَقَدْ قَالَ الْأَعْيَانُ وَالْأَثْرِيَاءُ بِالْأَمْسِ إِنَّهُ كَبْشٌ فَأُكْرِهُوا عَلَى دَفْعِ الْغَرَامَةِ، فَلْنَقُلْ نَحْنُ إِنَّهُ «بَغْلٌ» وَنَنْظُرُ مَا يَكُونُ.

فَقَالُوا لِلْوَالِي حِينَمَا سَأَلَهُمْ: إِنَّهُ بَغْلٌ يَا سَيِّدَنَا الْوَالِي.

فَصَاحَ الْوَالِي سَاخِرًا: أَهَذَا بَغْلٌ يَا أَغْبِيَاءُ؟! إِنَّكُمْ جَاهِلُونَ.. وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَدْفَعُوا الْغَرَامَةَ جَزَاءَ جَهْلِكُمْ وَغَبَائِكُمْ!!

فَأَدَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ، وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُكْرَهِينَ!

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي.. اسْتَدْعَى الْوَالِي طَائِفَةَ الْحِرَفِيِّينَ.. وَهَمَسَ كَبِيرُهُمْ لَهُمْ قَائِلًا: لَا يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ فِي حَضْرَةِ الْوَالِي، فَسَوْفَ أَتَكَلَّمُ عَنْكُمْ، فَوَافَقَهُ الْجَمِيعُ عَلَى ذَلِكَ.

وَاسْتَقْبَلَهُمُ الْوَالِي.. وَسَأَلَهُمْ: مَا هَذَا؟!

فَرَدَّ كَبِيرُهُمْ: يَا سَيِّدِي لَيْسَ هَذَا كَبْشًا وَلَا بَغْلًا.. هَذَا يُسَمُّونَهُ بَلَاءٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ كُلًّا مِنَّا يَدْفَعُ لَكَ عَشَرَةَ دَنَانِيرَ ذَهَبِيَّةٍ..

وَانْصَرَفَ الْحِرَفِيُّونَ مُكْرَهِينَ.. وَتَحَدَّثَ النَّاسُ طَوِيلًا عَنْ ظُلْمِ هَذَا الْوَالِي وَسَعَةِ حِيلَتِهِ وَجُرْأَتِهِ عَلَى أَكْلِ الْمَالِ الْحَرَامِ.

وَانْطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْمَثَلُ الْقَائِلُ:

مُكْرَهٌ أَخُوكَ لَا بَطَلٌ.

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

كُلُّ امْرِئٍ يَحْتَطِبُ بِحَبْلِهِ.

لَا يُلَامُ مَنْ غَالَهُ حَتْفُهُ.

بِيَدِي أَغْرِزُ شَوْكِي.



الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ

يُضْرَبُ عَلَى تَوَافُقِ النَّتَائِجِ مَعَ الْأَسْبَابِ؛ فَإِنْ فَعَلَ الْإِنْسَانُ خَيْرًا كَانَ جَزَاؤُهُ خَيْرًا، وَإِنْ فَعَلَ شَرًّا عُوقِبَ بِالشَّرِّ.

يُحْكَى عَنْ أَحَدِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَحَوْلَهُ أَعْوَانُهُ وَأَصْحَابُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ الشُّعَرَاءِ، فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا مَدَحَهُ بِهِ وَمَجَّدَهُ.

فَلَمَّا انْتَهَى الشَّاعِرُ مِنْ شِعْرِهِ، صَفَّقَ لَهُ الْمَلِكُ وَأَعْوَانُهُ، وَقَالَ الْمَلِكُ لِلشَّاعِرِ: أَحْسَنْتَ يَا أَخِي، فَقَدْ أَسْعَدَنِي شِعْرُكَ.

وَأَمَرَ لَهُ الْمَلِكُ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، فَفَرِحَ الشَّاعِرُ بِذَلِكَ، وَقَفَزَ مِنْ مَكَانِهِ يُرِيدُ أَنْ يُقَبِّلَ يَدَ الْمَلِكِ.

وَهُنَا قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِعَشَرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ فَفُوجِئْتَ بِهَا وَقَفَزْتَ مِنْ مَكَانِكَ.. وَنَحْنُ يَسُرُّنَا أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ سَعَادَةً فَنُعْطِيَكَ ضِعْفَ ذَلِكَ!!

وَوَقَعَ الشَّاعِرُ مِنَ الْمُفَاجَأَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَادَ يَخْرُجُ مِنْ جِلْدِهِ!!

فَلَمَّا رَأَى الْمَلِكُ الشَّاعِرَ وَقَدْ تَضَاعَفَ فَرَحُهُ، قَالَ: إِنَّ سَعَادَتَكَ تَزْدَادُ بِازْدِيَادِ مَا نَمْنَحُكَ مِنَ الْمَالِ.

قَالَ الشَّاعِرُ: يَكَادُ قَلْبِي يَتَوَقَّفُ مِنَ الْفَرَحِ يَا مَوْلَايَ.

صَاحَ الْمَلِكُ إِلَى كَاتِمِ أَسْرَارِهِ: أَعْطِهِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ!!

وَيُفَاجَأُ الشَّاعِرُ بِمُضَاعَفَةِ الْمُكَافَأَةِ، فَيَكَادُ يَغِيبُ عَنِ الْوَعْيِ، وَظَلَّ هَكَذَا كَأَنَّهُ يَحْلُمُ فَتْرَةً مِنَ الْوَقْتِ.

وَلَمَّا عَادَ الشَّاعِرُ إِلَى طَبِيعَتِهِ خَاطَبَ الْمَلِكَ قَائِلًا: يَا مَوْلَايَ أَنْتَ مَلِكٌ كَرِيمٌ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّكَ كُلَّمَا رَأَيْتَنِي قَدِ ازْدَدْتُ فَرَحًا وَسَعَادَةً زِدْتَنِي عَطَاءً وَمَالًا، وَأَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ أُقَدِّمُ لَكَ الشُّكْرَ عَلَى مَا سَوْفَ أَنَالُهُ مِنْكَ!!

لَيْسَ لِي يَا مَوْلَايَ إِلَّا أَنْ أَدْعُوَ اللَّهَ لَكَ بِدَوَامِ الْغِنَى وَالْعَافِيَةِ.



وَخَرَجَ الشَّاعِرُ مِنَ الْمَجْلِسِ فِي انْتِظَارِ الْجَائِزَةِ، وَهُنَا أَقْبَلَ كَاتِمُ الْأَسْرَارِ عَلَى الْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: يَا مَوْلَايَ.. لَقَدْ أَصَابَنِي الْعَجَبُ وَالْحَيْرَةُ.

قَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لِمَاذَا؟!

قَالَ كَاتِمُ الْأَسْرَارِ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ كَانَ يَرْضَى مِنْكَ بِأَرْبَعِينَ دِرْهَمًا، وَكَانَ يَكْفِيهِ هَذَا، فَتَزِيدُهُ وَتَأْمُرُ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا؟!!

فَضَحِكَ الْمَلِكُ وَقَالَ: وَيْلَكَ.. لَعَلَّكَ تُرِيدُ أَنْ تُعْطِيَهُ شَيْئًا!!

قَالَ كَاتِمُ الْأَسْرَارِ: أَلَمْ تَأْمُرْنِي بِهَذَا أَمَامَ الْمَجْلِسِ؟! وَعَلَيَّ إِطَاعَةُ الْأَمْرِ.

فَصَاحَ الْمَلِكُ فِي وَجْهِ كَاتِمِ أَسْرَارِهِ: يَا أَحْمَقُ.. إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَسْعَدَنَا بِكَلَامٍ وَأَسْعَدْنَاهُ بِكَلَامٍ!!

أَلَمْ تَسْمَعْهُ وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّنِي أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ، وَأَقْوَى مِنَ الْأَسَدِ، وَأَنَّ لِسَانِي أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ، وَأَنَّ أَمْرِي أَنْفَذُ مِنَ السِّنَانِ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ كَذَبَ!!

قَالَ كَاتِمُ الْأَسْرَارِ: مَوْلَايَ.. إِنَّمَا هُوَ شَاعِرٌ، وَالشِّعْرُ مُبَالَغَةٌ!!

قَالَ الْمَلِكُ: أَعْلَمُ، وَعَلَى كُلٍّ فَهُوَ قَدْ سَرَّنَا حِينَ كَذَبَ عَلَيْنَا، وَعَلَيْنَا أَنْ نَسُرَّهُ أَيْضًا بِالْقَوْلِ، وَنَأْمُرَ لَهُ بِالْجَوَائِزِ وَالْعَطَاءِ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا، فَيَكُونُ كَذِبٌ بِكَذِبٍ وَقَوْلٌ بِقَوْلٍ وَمُبَالَغَةٌ بِمُبَالَغَةٍ!!

أَمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبٌ بِصِدْقٍ وَقَوْلٌ بِفِعْلٍ، فَهَذَا هُوَ الْخُسْرَانُ الَّذِي مَا سَمِعْتُ بِهِ!!

وَالْجَزَاءُ يَا أَخِي مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ..

وَيَتَشَابَهُ مَعَ هَذَا قَوْلُهُمْ:

كَمَا تَدِينُ تُدَانُ.

كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ.

إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ.



أَسْئِلَةٌ عَامَّةٌ عَلَى الْكِتَابِ

س1: لِمَنْ كَانَ الْكُوخُ الصَّغِيرُ الَّذِي لَاحَ «لِلنُّعْمَانِ بْنَ الْمُنْذِرِ» فِي الصَّحْرَاءِ؟

س2: مَنِ الَّذِي ضَمِنَ «حَنْظَلَةَ» عِنْدَ «النُّعْمَانِ» حَتَّى يَتْرُكَهُ لِكَيْ يُوَدِّعَ أَهْلَهُ وَيُوصِي إِلَيْهِمْ؟

س3: مَا الشَّرْطُ الَّذِي وَضَعَهُ اللِّصَّانِ حَتَّى يَسْتَرِدَّا الْمَالَ مِنَ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ؟

س4: كَيْفَ عَلِمَ الْقَاضِي أَنَّ هُنَاكَ سِرًّا بِالأَمْرِ؟

س5: مَا السَّبَبُ فِي لُجُوءِ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ إِلَى الكَهْفِ؟ وَمَاذَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ؟

س6: كَيْفَ مَالَتِ الصَّخْرَةُ وابْتَعَدَتْ؟

س7: لِمَاذَا عَفَا الْحَاكِمُ عَنِ الشَّابِّ الصَّغِيرِ؟

س8: مَا الرِّسَالَةُ الَّتِي تَرَكَهَا الطَّارِقُ لِلْخَادِمِ حَتَّى يَقُولَهَا لِلشَّابِّ؟

س9: مَا الْخُطَّةُ الَّتِي رَسَمَهَا اللُّصُوصُ؟ وَمَا البِئْرُ الخَالِيَةُ؟

س10: مَا السِّعْرُ الَّذِي طَلَبَهُ «حُنَيْنٌ» لِيَبِيعَ الْخُفَّيْنِ؟

س11: لِمَاذَا سَخِرَ الْقَوْمُ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ؟

س12: كَيْفَ اسْتَطَاعَ اللِّصُّ أَنْ يَفْتَحَ دُكَّانَ «مَسْرورٍ»؟

س13: مَاذَا فَعَلَ «مَسْرُورٌ» عِنْدَمَا اكْتَشَفَ السَّرِقَةَ؟

س14: مَا سَبَبُ حُزْنِ الصَّيَّادِ؟ وَمَاذَا فَعَلَ بِوِعَاءِ الْعَسَلِ؟

س15: مَنِ الَّذِي قَتَلَ الْقِطَّ؟ وَلِمَاذَا؟

س16: هَلْ رَأَى الإِخْوَةُ الْأَرْبَعَةُ الْجَمَلَ فِعْلًا؟

س17: مَا تَفْسِيرُ وَصِيَّةِ الْأَبِ كَمَا قَالَهُ الْحَكِيمُ؟

س18: كَمْ عَدَدُ اللُّصُوصِ الَّذِينَ فَاجَئُوا «إِسْمَاعِيلَ»؟ وَأَيْنَ كَانَ؟

س19: كَيْفَ فَتَحَ اللُّصُوصُ الطَّرِيقَ أَمَامَ «إِسْمَاعِيلَ» لِلْخَلَاصِ؟

س20: مَا أَهَمُّ صِفَاتِ «حَاتِمِ الطَّائِيِّ»؟ وَمَاذَا تَعْرِفُ عَنْ كَرَمِهِ وَجُودِهِ؟

س21: لِمَاذَا ذَبَحَ «حَاتِمُ الطَّائِيُّ» فَرَسَهُ السَّوْدَاءَ؟

س22: مَا سَبَبُ سُخْرِيَةِ صَدِيقَةِ «زَرْقَاءِ اليَمَامَةِ» مِنْهَا؟

س23: كَيْفَ جَعَلَتْ «زَرْقَاءُ» قَوْمَهَا يَسْتَعِدُّونَ لِمُواجَهَةِ أَعْدَائِهِمْ؟

س24: مَا الْمَعْرُوفُ الَّذِي فَعَلَهُ الرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ الدُّبِّ؟ وَكَيْفَ رَدَّ الدُّبُّ الْجَمِيلَ؟

س25: لِمَاذَا يَغْضَبُ التُّجَّارُ في السُّوقِ مِنْ «حَسَّانَ»؟

س26: مَا الأُمُورُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي أَوْصَى بِهَا «حَسَّانُ» وَلَدَهُ «يَاسِرَ»؟

س27: لِمَاذَا اتَّهَمَ الْأَبُ وَلَدَه بِالْخِيَانَةِ وَالْخِدَاعَ؟

س28: مَا الاقْتِراحُ الَّذِي قَدَّمَهُ الْأَصْدِقَاءُ لِلرَّجُلِ حَتَّى لا يَقْتُلَ نَفْسَهُ؟

س29: لِمَاذَا دُهِشَ الرَّجُلُ مِمَّا فَعَلَهُ وَلَدُهُ؟ وَمَاذَا قَالَ لَهُ؟

س30: مَا اسْمُ وَلَدِ «كِسْرَى»؟ وَلِمَاذَا تَرَكَه عِنْدَ الْمَلِكِ «النُّعْمَانِ»؟

س31: لِمَاذَا أَمَرَ الْمَلِكُ بِإِلْقَاءِ «سِنِمَّارَ» مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ؟

س32: هَلْ رَحَّبَ صَاحِبُ الْكُوخِ بِالضَّيْفِ؟

س33: لِمَاذَا ضَحِكَ صَاحِبُ الْبَيْتِ؟ وَمَاذَا قَالَ لِلرَّجُلِ؟

س34: مَا هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي عَمِلَهُ الْحَكِيمُ حَتَّى يَسْتَطِيعَ الصُّمُودَ في السِّجْنِ الْمُظْلِمِ؟

س35: لِمَاذَا أَصْدَرَ السُّلْطَانُ الْأَمْرَ بِسَجْنِ الْحَكِيمِ؟

س36: كَيْفَ تَنَاثَرَتْ قَطَرَاتُ الزَّيْتِ عَلَى ثَوْبِ الْمَغْرُورِ؟ ومَاذَا فَعَلَ حِينَهَا؟

س37: مَا الَّذِي طَلَبَهُ الشَّابُّ الذَّكِيُّ مِنَ الْمَغْرُورِ؟

س38: مَا الَّذِي قَالَهُ الْأَعْرَابِيُّ للأَمِيرِ بِخُصُوصِ وَلَدِهِ؟ وَمَاذَا فَعَلَ الْأَمِيرُ؟

س39: كَيْفَ تَغَيَّرَ حَالُ الْفَتَى «عَطَاء»؟ وَمَتَى كَانَ هَذَا التَّغْيِيرُ؟

س40: هَلْ وَافَقَ الْوَزِيرُ الْحَاسِدُ عَلَى قَرَارِ الْأَمِيرِ؟ وَلِمَاذَا؟

س41: مَا الْحِيلَةُ الَّتِي فَعَلَهَا الْوَزِيرُ الشِّرِّيرُ حَتَّى يَغْضَبَ الأَمِيرُ مِنَ الْأَعْرَابِيِّ؟

س42: مَاذَا طَلَبَ القَاضِي مِنَ الرَّجُلِ عِنْدَمَا سَمِعَ مَظْلَمَتَهُ؟

س43: كَيْفَ عَرفَ الْقَاضِي بِخِيَانَةِ الْعَصَّارِ؟

س44: مَاذَا اشْتَرَطَ «جُحَا» عِنْدَ بَيْعِ دَارِهِ؟ وَكَيْفَ اسْتَرَدَّهَا بَعْدَمَا حَكَمَ القَاضِي بِبَيْعِهَا؟

س45: كَيْفَ أَخَذَ الْغُلامُ الرَّاحِلَةَ وَالْمَتَاعَ وَمَضَى؟

س46: أَيْنَ وَجَدَ الْجُنُودُ الْغُلَامَ وَمَعَهُ النَّاقَةُ والمَتَاعُ؟

س47: مَنِ الَّذِي كَانَ يُنَادِي عَلَى «عَبْدِ اللَّهِ»؟ وَمَاذَا كَانَ يُرِيدُ مِنْهُ؟

س48: مَا هِيَ نَصِيحَةُ الدَّرْوِيشِ لِـ«عَبْدِ اللَّهِ» بَعْدَ مَا أَعْطَاهُ كُلَّ شَيْءٍ؟

س49: مَا الَّذِي كَانَ يَحْدُثُ كُلَّمَا حَاوَلَ الْجَارُ سَرِقَةَ الصُّنْدُوقِ الْمَوْجُودِ فَوْقَ الْمَائِدَةِ؟

س50: هَلْ سَرَقَ الْجَارُ الْخَائِنُ الصُّنْدُوقَ؟ وَلِمَاذَا؟

س51: لِمَاذَا تَسَمَّرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَكَانِهِ؟ وَمَاذَا سَمِعَ؟

س52: مَنْ هُوَ خَامِسُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ؟ وَمَنْ تَكُونُ أُمُّهُ؟

س53: مَا الاخْتِبَارُ الَّذِي أَحَبَّ الْعَالِمُ أَنْ يَضَعَ فِيهِ مُسَاعِدَهُ؟

س54: مَا الدَّلِيلُ عَلَى خِيَانَةِ الْمُسَاعِدِ؟ وَلِمَاذَا اغْتَاظَ عِنْدَمَا فَتَحَ الرِّسَالَةَ؟

س55: لِمَاذَا أَرَادَ الْأَمِيرُ طَرْدَ السَّيِّدَةِ الْعَجُوزِ مِنْ كُوخِهَا؟

س56: هَلْ حَضَرَ الأَمِيرُ أَمَامَ الْقَاضِي؟ وَلِمَاذَا أَصَرَّتِ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ عَلَى حُضُورِهِ؟

س57: مَا الْحِيلَةُ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْوَزِيرُ وَالْوَالِي؟

س58: هَلْ دَفَعَ كَبِيرُ الحِرَفِيِّينَ الْعَشَرَةَ دَنَانِيرَ؟ وَمَاذَا قَالَ لِلْوَالِي؟

س59: هَلْ أَعْطَى المَلِكُ الدَّرَاهِمَ لِلشَّاعِرِ؟ وَلِمَاذَا؟

س60: مَا مَعْنَى: «الْجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ» مِنْ خِلَالِ مَا تَعَلَّمْتَهُ مِنَ الْقِصَّةِ؟





الأستاذ / أحمد سويلم.

* مواليد بيلا ـ كفر الشيخ.
* حاصل على بكالوريوس تجارة عام ١٩٦٦م.
* عمل مديرًا للنشر بدار المعارف ـ ونائبًا لرئيس تحرير مجلة أكتوبر ـ ومدرسًا لمادة نشر الكتاب بأكاديمية أخبار اليوم.
* عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة.
* سكرتير عام اتحاد الكتاب.
* حاصل على جائزة الدولة التشجيعية، وجائزة الدولة للتفوق في الآداب.
* له عدد كبير من الدواوين الشعرية.. والمسرحيات الشعرية.. والدراسات.. وأدب الأطفال، من بينها:

ـ دواوين: الخروج إلى النهر ـ السفر والأوسمة ـ شظايا ـ لزوميات ـ جناحان إلى الجوزاء ـ رعشة في الأفق.

ـ المسرحيات الشعرية: إخناتون ـ شهريار ـ الفارس ـ المجهول المعلوم.

ـ الدراسات: أطفالنا في عيون الشعراء ـ مجانين العشق العربي ـ شعراء العمر القصير ـ شعراء كتبوا للأطفال ـ ديوان شوقي للناشئة.

ـ للأطفال: حكايات من ألف ليلة ـ بستان الحكايات ـ تعالوا نغني حروف الهجاء ـ أنا وأصدقائي ـ فلسطين عربية ـ واحة الحيوان ـ أنا أحب الحياة ـ حكايات الفرعون الصغير ـ يحكى أن.